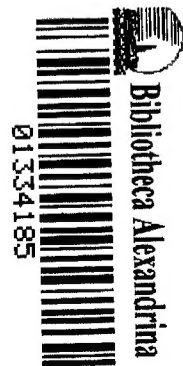


كتب تاريخية

عَمَّ أَوْ قَامِلُ الْإِنْجِلِ تَرَا الأنجلوساكسوني ٧٥٧ - ٧٩٦ م

دكتور
مصطفى حسن محمد الثاني
أستاذ تاريخ العصور الوسطى والمعاصرة
كلية الآداب - جامعة أسيوط

توزيع منشآت
بالتعاون مع
بجلال حزي وشركاه
بالاسكندرية



كتب تاريخية

عَمَّ أَوْ قَامِلُ الْإِنْجِلِ تَرَا الأنجلوساكسوني ٧٥٧ - ٧٩٦ م

دكتور
مؤلف حسن محمد الكنافي
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بالمعهد
للمية الآداب - جامعة أسيوط



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

توزيع // منشورات الإسكندرية
بجلال حزي وشركاه

يسرنا ان نطلعكم

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا اننا
نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ،
واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين »
(المائدة : ٨٢ - ٨٣)

إهداء

الى طلاب الحقيقة في كل مكان

مصطفى حسن محمد الكنانى

الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منطق الألسنة بتحميد صفاته ، ولمهم الجنان الى
تقديس ذاته ، نحمده ونشكره ، ونستعينه ونتوب اليه ونستغفره ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا • من يهده الله
فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا ، اللهم لاعلم لنا
الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، ونشهد أن لا اله الا الله ،
وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله • اللهم صل
وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابه ، ومن دعا بدعوته
واهتدى بهديه الى يوم الدين ، ثم أما بعد •

فالمعروف أن الجزيرة البريطانية قد ظلت على امتداد تاريخها
القديم فى عزلة تامة عن القارة الاوربية ومؤثراتها الحضارية •
وبعد قدوم الغزاة الرومان وسيطرتهم عليها ، ارتبطت بريطانيا
الرومانية (٥٥ق.م — ٤٥٠م) بمسار الاحداث فى القارة الاوربية،
ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، وحتى نهاية العصور الوسطى عاشت
بريطانيا فى ظل تطورات أوروبا الحضارية (١) • ومن أهم مظاهر تلك
التطورات قدوم البرابرة الانجلوساكسون الى بريطانيا ، واقامتهم
ممالكهم المشهورة على حساب البريطانيين السكان الاصليين للجزيرة •
ومنذئذ بدأ نمو واكتمال مقومات الامة الانجليزية على حد قول
البعض ، وعرفت بريطانيا باسم انجلترا (٢) •

(١) نظير حسان سعداوى : تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة
والوسطى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص د ، ٥ وما بعدها •

(٢) ذكر روجر أوف ويندوفور أن اسم بريطانيا مشتق من اسم بروتوس
=

وجدير بالذكر أن منابع تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية نادرة وقليلة ، فمنها ما دون باللغة اللاتينية أو باللغة الانجليزية القديمة ، ومنها ما لا يزال بلغته القديمة التي كتب بها ، ولم يترجم بعد الى اللغات الحديثة ، ومنها ما ترجم الى اللغات الحديثة كالانجليزية أو الفرنسية ، وتم نشرها نشر علميا محققا . هذا ، وقد يبدو لأول وهله أن الكتابة في تاريخ الانجلوساكسون بعامة سهل وميسور ، الا أن ندرة المصادر والوثائق بالنسبة للعديد من جوانب الموضوع الهامة ، جعله في حاجة الى مزيد من الدراسة العلمية الدقيقة ، لكشف غموض تلك الجوانب وسد فجواته العديدة ، وتوضيح الرؤيا أمام الباحثين عن حقيقة هؤلاء القوم البرابرة .

وموضوع بحثنا هذا يتناول تاريخ عصر شخصية واحد من أعظم ملوك أوربا وأكثرهم شهرة وغموضا في العصور الوسطى ، ألا وهو الملك أوففا OFFA REX ملك مرسيا Mercia الانجلوساكسوني لقد استطاع على امتداد عصره الذي امتد تسعة وثلاثين عاما أن يخرج مملكته عن عزلتها (٧٥٧ - ٧٩٦م) وبعد جهود مضيئة

=

Brutus (المفامر القرطاجني) ، وبعد قدوم الانجلوساكسون عرفت باسم انجلترا أو أنجليا Anglia نسبة الى الانجلز Angles
أنظر :

Roger of Wendover, Flowers of History, trans. From the Latin by Galas, J. A., London, 1848, Vol. I, p. 53; Geoffrey of Monmouth, The History of The Kings of Britain, trans - with an introduction by Lewis Thrope, London, 1976, pp. 53 - 74.

بذلها فى شتى الميادين العسكرية والدبلوماسية نجح
 فى توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت زعامته ، ولاول مرة
 فى التاريخ اتحدت هذه الممالك وبلغت فى عصره مكانة سامية ،
 تمتعت فيها بالثروة والامن والامان بفضل مشروعاته الاقتصادية
 والعمرانية وتشريعاته العادلة ، فاستحق عن جدارة لقبى : « ملك
 انجلترا Rex Anglorum » ، وملك كل بلاد الانجليز
 Rex totius Anglorum Patriae « ولعلنا نجد فى أعماله
 الخالدة فى شتى المجالات الانف ذكرها ، فضلا عما عرف عنه من
 ورع وتقوى وطيبة قلب من جهة ، بالاضافة الى تودد كل من البابوية
 وشارلمان العظيم اليه ، ومهادنتهما اياه رغم كراهيتهما الشديدة له
 من جهة أخرى ، ما يؤكد عظم مكانته التى تمثلت فى تخطيه حدود
 بلاده ، وتركه بصماته القوية على مجريات أمور السياسة الاوربية
 فى أخريات سنوات عمره .

ويلاحظ أن تاريخ الملك أوفًا لم ينل حظه الكامل من الدراسة
 المتكاملة الجوانب ، اذ ان الموضوع لم يدرس بعد سواء فى الشرق
 أو الغرب دراسة علمية موضوعية قائمة بذاتها + بينما وردت الاشارة
 اليه عرضا بين ثنايا كتابات بعض المؤرخين المعنيين بتاريخ الجزيرة
 البريطانية بعامة + هذا ويلاحظ أن اغلب المؤرخين المهتمين بدراسة
 تاريخ انجلترا الأنجلوساكسونية ، قد مروا على عصر الملك أوفًا
 مرور الكرام ، بينما فريق آخر قد أهمل الاشارة اليه تماما + ومن
 ثم فان كل ما دون عن تاريخ هذا الملك ، لا يتعدى نتفا أو شذرات

مبعثرة هنا أو هناك ، أو على أكثر تقدير ، فصل أو بعض فصل
فى كتب المؤرخين المتخصصين أمثال ستنتون Stenton ، ووايتلوك
Whitelock وورمالد Wormald وهارت Hart .

ومن الغريب الملاحظ أن الملك أوفًا رغم عظم مكانته تلك ، فان
جميع وثائق عصره دون غيره من الملوك الانجليز قد اختفت ! فكل
ما وصلنا عنه مجرد اشارات بسيطة لا تتعدى سطرا أو بعض سطر ،
مما لا يروى غلة الباحث * والاكثر غرابة أن المصادر المعاصرة
لم تشر الى نهايته ، أو الى مكان دفنه ، ولولا رواية وردت عرضا
فى مصدر متأخر (القرن ١٣م) ما عرفنا شيئا عن مكان دفنه ،
الذى تحدده الرواية كما هو متوافر فى مصلى صغير داخل
مبنى مجهول على حافة نهر اشتهر بفيضاناته المدمرة ! بينما المفروض
أن يدفن كالعادة المتبعة مع غيره من أقرانه الملوك فى كنيسة العاصمة
أو كاتدرائيتها ! وازضافة لما سبق يلاحظ أن كافة المصادر والوثائق
المعاصرة والمتأخرة زمنيا بخاصة ، وأغلب المراجع والموسوعات
والمعاجم المتخصصة بصفة عامة ، قد أهملت الإشارة الى أهم وأندر
العملات فى تاريخ أوروبا الوسيط ، والتي أصدرها الملك أوفًا ، وأعنى
بذلك ديناره المشهور الذى نقش عليه اسمه بالحروف اللاتينية
مصحوبا بعبارات التوحيد الإسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك
له — محمد رسول الله) ! مما أوقع المؤرخين المعنيين فى حيرة ،
وكان أن تعددت آراؤهم وتضاربت بشأن أسباب ضرب هذا الدينار
ومدلولاته الهامة * هذا وجدير بالذكر أن هناك من تساءل عما اذا

كان أوفيًا قد اعتنق الاسلام ، وخرج علينا بالرأى القائل باعتناقه الاسلام ، اعتمادا على ديناره الانف الذكر .

لذا ، ولأهمية هذه المقولة وخطورتها من جهة ، على ضوء المعلومات القليلة التى أمدتنا بها المصادر والوثائق النادرة من جهة أخرى ، قمنا بعمل دراسة تحليلية لتلك الآراء لبيان مدى صحتها بعد مقارنتها بغيرها من المعلومات والروايات المشابهة فى غيرها من المراجع المتخصصة ، واضعين نصب أعيننا الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة المنزهة عن أى غرض آخر . ويلاحظ أن المؤرخين العربيين كافة قد تغاضوا كلية عن مناقشة مدى صحة القول باحتمال اعتناق الملك أوفيًا للاسلام ، ومن ثم القول بأن ضرب هذا الدينار كان محصلة طبيعية له . لقد تعلل هؤلاء بعدم وجود نص صريح يؤكد صحة هذا الاحتمال من جهة ، ومقارنتهم حالة الضرب ها هنا بحالات أخرى مشابهة لدنانير سكها الصليبيون فى الشام ، فضلا عما أصدره بعض ملوك الفرنج فى أوروبا العصور الوسطى فى هذا الصدد من جهة أخرى .

لكننا بفضل الله ، ثم بفضل ما حصلنا عليه من وثائق ، فضلا عن صورة الدينار والمعلومات التى أمدنا بها المسئولون المعنيون فى المتحف البريطانى ، وغيرهم من المتخصصين فى علم النميات (٣)

(٣) يحضرنى فى هذا الصدد توجيه الشكر والعرفان بالجميل للسادة المشرفين على المتحف البريطانى ، ومكتبته العامة وقسم المسكوكات بصفة خاصة ، لتصريحهم لى بنشر لوحة الدينار المرفقة ، فضلا عن تيسيرهم لى سبل شراء مصادر البحث ومراجعته وتصوير النادر

قد رجحنا اعتناق الملك أوفًا الدين الاسلامى • آملين أن نكون قد وضعنا بهذه الدراسة الصعبة حدا للحيرة التى أوقع المؤرخون المعنيون أنفسهم فيها ، فهم فى ظاهرهم كانوا يلهثون وراء تفسير منطقى لحقيقة ضرب هذا الدينار ، بينما هم فى باطنهم مقتنعون بما وصلنا اليه فى هذا الصدد • فلا مراء فى أن أى باحث مدقق ومنصف لا يغيب عن خاطره أن هناك أسبابا قد حالت ولا زالت تحول حتى يومنا هذا دون هؤلاء المؤرخين ودون اعلانهم صحة هذه المقولة ، وأعنى بذلك خوفهم من ردود فعل الكنيسة المضادة لهم اذا ما خرجوا علينا بمثل هذا الرأى الذى فيه يمترون ، ولعل ذلك يفسر أسباب تعدد آراء هؤلاء المؤرخين حول حقيقة أسباب ضرب هذا الدينار ، ومن ثم يدعم القول بعدم تحليلهم بروح المؤرخ المحايد ، فضلا عن كشف خبث نواياهم وكراهيتهم الشديدة للإسلام والمسلمين •

=

منها وسهلوا لى مهمة الحصول على كافة مصادر تاريخ إنجلترا فى العصور الوسطى وعلى رأسها مجموعة الوثائق التاريخية الانجليزية الاصلية أيضا • وأخص بالذكر السيد / ف • أوتود Ph. Ottwood ، والسيدة / س • م • يونجز S. M. Yongs فضلا عن السادة المشرفين على مكتبتى جامعتى ديون Kent وكنت لما قدموه من مساعدات يسرت لى شراء العديد من مصادر البحث ومراجعته الهامة ، كما لا يفوتنى شكر الزميلين د • / رأفت النبراوى ، د • / محمد غيطاس ، وأمينى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، السيد الاستاذ محمد عبد الرحمن فهمى ، والانسنة الاستاذة وجيدة يحيى عزب ، لما قدموه لى من مساعدات ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء •

لقد تم اعداد هذا البحث بعد جهد جهيد بذلناه على امتداد أكثر من ثلاث سنوات ، لصعوبة الموضوع وندره المادة العلمية الخاصة بتاريخ الملك أوفًا كما أسلفا * ومن ثم كان علينا سبر أغوار الوثائق والمصادر ، ودراستها بعمق علنا نحصل على رواية أو معلومة تتصل بالموضوع من قريب أو بعيد تسد احدى فجواته العديدة أو تضيف اليه جديدا * حتى استطعنا أن نكون اطارا عاما عن أهم سمات عصر هذا الملك العظيم ، وذلك من خلال السرد العام لاهم أعماله ، ومجهوداته التى قام بها فى كافة مظاهر الحياة العسكرية والسياسية والدبلوماسية ، والعمرانية والتجارية والتشريعية والثقافية ، من أجل تحقيق وحدة الامة الانجليزية تحت زعامة مرسيا ، وكفالة أعلى مستوى معيشى لها ، وهذا ما حققه الملك أوفًا بالفعل وأكدته الوثائق والمصادر * ولقد ركزنا بصفة خاصة على علاقاته بكل من البابوية وشارلمان العظيم من جهة، وعلاقاته التجارية والسياسية بالخلافة العباسية من جهة أخرى ، مع دراسة تحليلية لاهم انعكاسات تلك العلاقات على مسار الاحداث، ونتائجها القريبية والبعيدة على امتداد البحث *

من هذا المنطلق ، كان اختيارنا لموضوع البحث تحت عنوان : عصر أوفًا ملك انجلترا الأنجلوساكسونى (٧٥٧ - ٧٩٦م) « ، عَّلِه يكشف ستر غموض حقيقة هذا الملك العظيم ، ويعيد اليه حقه من التقدير والتكريم ، ويضعه فى مكانه الصحيح كواحد من أعظم ملوك أوربا العصور الوسطى من جهة ، ويضع حدا لحيرة المؤرخين الغربيين المصطنعة بكثف حقيقة السبب الذى حدا به لضرب ديناره ذى العبارات الاسلامية من جهة أخرى *

ومن الاهمية بمكان القول بأنه لولا سفرياتى المتعددة من قبل الى انجلترا وغيرها من البلدان الاوربية من جهة ، ولولا زياراتى ومراسلاتى مع العديد من المشرفين على الارشيفات الاوربية، وعلى رأسهم مسئولى المتحف البريطانى بصفة خاصة من جهة أخرى ، ما خرج هذا البحث الى حيز النور ، اذ اننى بفضل الله ، ثم بفضل هؤلاء المسئولين قد حصلت على أكثر من خمسة وتسعين فى المائة من المصادر المتصلة بالفترة الزمنية موضوع البحث بصفة خاصة، وتاريخ انجلترا على امتداد العصور الوسطى بصفة عامة ، مما أعاننى على التصدى لكافة القضايا والمشاكل التى واجهتنى على امتداد البحث، وكشف اسبابها ومسبباتها ، ومن ثم بيان أهم النتائج والاستنتاجات التى ترتبت عليها .

هذا ، وترجع أهمية البحث الى أنه يلقي الضوء لأول مرة على حقيقة تاريخ عصر الملك أوفّا العظيم ، الذى أهمله المؤرخون ، فضلا عن أنه يضيف اليه جديدا ، ويكشف حقيقة موقفه من الاسلام ، وفى نفس الوقت تكشف هذه الدراسة الكثير من الحقائق العلمية التى كانت خافية بين سطور الوثائق والاصول المعاصرة والمتأخرة عن الفترة الزمنية موضوع البحث (٧٥٧ - ٧٩٦ م) .

وغنى عن القول أن الحوليات الانجلوساكسونية المنشورة تحت عنوان «The Anglo - Saxon Chronicle» التى كتبها عدد من الكتاب الحوليين الكنسيين الانجليز ، قد أمدتنا بفيض طيب من المعلومات والحقائق التاريخية التى أهملتها أصول أخرى . ويلبى فى الاهمية مجموعات المواثيق والرسائل التى تمتاز بقيمتها العلمية الكبيرة ،

لكونها قد صدرت عن شهود عيان معاصرين للاحداث على امتداد
عصر أوفيا ، فضلا عما حصلنا عليه من غيرها من المصادر اللاتينية
والانجليزية القديمة للمؤرخين أمثال : روجر أوف ويندوفر
Roger of Wendover ، وروجردي هوفيدن Roger de Hoveden
ومتى أوف ويستمينستر Matthew of Westminster وأسرة Asser ،
وبيد Bede وغيرهم ، أكبر الأثر فى اعداد هذه الدراسة الصعبة .

هذا عن الهدف من اعداد البحث وقيمه العلمية ، ولقد قسمناه
الى ثلاثة فصول ، مهدنا له بهذه المقدمة وتحليل علمى لمختلف المصادر
والمراجع من أجنبية وعربية ، وذيلائها بخاتمة ضمناها أهم الآراء
والافكار والنتائج التى أمكن التوصل اليها .

والفصل الأول وعنوانه : « أوفيا وتوحيد الأنجلوساكسون
(٧٥٧ - ٧٩٦م) » . تناولنا فيه بالدراسة المركزة أحوال بريطانيا
قبيل عصر الملك أوفيا كمدخل طبيعى للبحث ، مما ساعد على تفهم
طبيعة المناخ العام وظروف تربع أوفيا على عرش مرسيا ونموها
السياسى والاقتصادى ، وانطلاقتها بقيادته للهيمنة على كافة الممالك
الانجلوساكسونية ، وما ترتب على ذلك من احتكاكات وحروب
طاحنة نشبت فيما بين الطرفين . وتناولنا بالتفصيل حروب أوفيا
التي خاضها من أجل توحيد الانجلوساكسون لأول مرة فى تاريخهم
الطويل . وبالمثل ناقشنا بالدراسة التحليلية الموضوعية أسباب مصرع
ايثلبرهت ملك ايسر أنجليا وقطع راسه بواسطة أوفيا ، وغللنا
ذلك باتفاقه مع البابوية ضد أوفيا للتخلص منه ، لمواقفه المعادية

للكنيسة الرومانية والعقيدة الكاثوليكية ، والتي رجحنا على ضوئها اعتناق أؤفا الاسلام . كذلك أأثرنا الى بعثة عام ٧٨٦م التى ارسلتها البابوية لاعادة تجديد العقيدة المسيحية وتثبيتها فى النفوس بعد ان ترعزت ، وتركها الكثيرون نتيجة جهود أؤفا المعادية للكنيسة والعقيدة . وأثبتنا أن ارسالها كان على عجل ، بعد أن وصلت الى مسامع البابا مواقف أؤفًا المضادة للكنيسة الرومانية ، والتي هددت وجودها فى انجلترا بخطر داهم ، ولقد أكدنا هذا الرأى بالاسانيد والحجج التى حصلنا عليها من المنابع والمصادر الاصلية . كذلك تناولنا جهود أؤفا الدبلوماسية التى بذلها لضم بعض ممالك الأنجلوساكسون الى الاتحاد الكونفيدرالى الذى أنشاه بقيادته تحت سيادة مرسيا ، وحيث أنكح ابنتيه الى كل من ايثريد ملك نورثمبريا ، وبيور هتريك ملك وسكس ، ضمانا لبقائهما داخل نطاق اتحاده السابق الذكر بفضل روابط النسب التى ربطتهما به . وأنهينا الفصل بالاشارة الى ردود فعل البابوية وشارلمان المضادة لجهود أؤفًا التى بذلها لتوحيد الانجلوساكسون ، وأوضحنا تأمرهما مع أعداء أؤفا للتخلص منه بسبب أعماله المضادة للكنيسة كما أسلفنا من جهة ، وموقفه أؤفًا من أعدائه ونتائج من جهة أخرى .

أما الفصل الثانى وعنوانه : « أؤفًا ودوره الحضارى (٧٥٧ — ٧٩٦م) » . فلقد تضمن دور الملك أؤفا فى وضع نواة نهضة انجلترا وتطورها الحضارى ، بالاشارة الى جهوده المبذولة للنهوض بالثقافة والتعليم ، فضلا عن اصلاحاته التشريعية والمالية : واهتماماته بالتجارة وتشجيعها ، وعقده المعاهدات التجارية مع

شارلمان والعباسيين ، وهى الأولى من نوعها فى تاريخ إنجلترا .
ولقد أثبتنا قوة التواجد العربى التجارى فى إنجلترا الأنجلوساكسونية
قبل وعلى امتداد عصر أوفيا ، وذلك على ضوء الوثائق والجغريات
الاثريّة . ثم عرجنا على كشف التغييرات التى أدخلها أوفيا على
العملات الأنجلوساكسونية ودلالاتها ، والتى أفادتنا هى وغيرها من
الأسانيد والحجج التى ذكرناها على امتداد البحث فى تأكيد ما
وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفيا الاسلام . فلقد أشرنا الى
تلاشى شارة الصليب من عملات السنوات الأخيرة من حكمه ،
فضلا عن ضربه ديناراه الذهبى المشهور ذى عبارات التوحيد
الاسلامية ، كما ناقشنا كافة الآراء التى قيلت حول أسباب ضرب
هذا الدينار . وأنهينا الفصل بترجيح اعتناق أوفيا الاسلام ، مدعين
ما وصلنا اليه بالأسانيد والشواهد التاريخية ، والحقائق العلمية
الموضوعية

والفصل الثالث والأخيرة عنوانه : « سور أوفيا العظيم ودلالاته .
(٧٨٤ — ٨٩٦ م) » . أشرنا فيه الى تخطيط وطبوغرافية سور
أوفيا العظيم الذى أقامه على حدوده مع ويلز ، وتناولنا بالمناسبة
الموضوعية العلمية شتى الآراء التى قيلت فى تبرير بناء أوفيا لهذا
السور الذى كلفه أموالا لا حصر لها ، ولقد أشرنا لأول مرة الى
السبب الحقيقى لتشييد السور وتاريخ البناء ، وأيدنا ما وصلنا
اليه فى هذا الصدد بالحجج والاسانيد والشواهد التاريخية التى
اعتصرناها من المصادر والاصول التى اعتمدنا عليها فى اعداد البحث .

وأعنى أن البناء قد تم لتعويق أعوان البابوية من عبور الحدود الى مرسيا ، لاثارة النفوس وتحريض الاهالى على الثورة ضد أوفنا ، تمهيدا لعزله لمواقفه المعادية « للكنيسة والايمان » • واستلزم الأمر الاشارة الى حروب أوفا ضد ويلز لما فى ذلك من أهمية فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة ، وسد فجواته •

وكذلك تناولنا بالدراسة التحليلية أسباب اهمال كافة المصادر والمراجع المعنية الاشارة الى أسباب موت أوفنا المفاجيء ، وهو يعد عدته لمهاجمة ويلز عام ٧٩٦م ، ودلالاتها ، مع الاشارة السريعة الى محاولات الملك حنا (جون) صاحب الماينكارتا البحث عن مقبرة أوفنا ، وبيئنا أسباب هذه المحاولات ، وخلصنا من ذلك ، بأنها محصلة لاعجاب حنا بالملك أوفنا ، الذى وصل حدا كبيرا لدرجة محاولته ترسم خطاه فى اعتناق الاسلام ، وأكدنا ذلك بالاشارة الى سفارته المشهورة التى أرسلها الى الخليفة الناصر محمد الموحدى فى الاندلس ، معلنا رغبته فى اعتناق الاسلام ودخوله وبلده وشعبه فى زمرة الموحدين ، مما أدى الى غضب البابوية واتهامها ايتاء بالكفر •

وأنهينا البحث بخاتمة ، أشرنا فيها الى الجديد فى الموضوع ، فضلا عن أهم الافكار والآراء ، والاستنتاجات التى توصلنا اليها •

هذا ، ولقد زدنا البحث بخريطة لانجلترا الأنجلوساكسونية تحدد الممالك السبع المشهورة الهييتاركى، وسور أوفنا العظيم، فضلًا عن ويلز البريطانية • كما زدنا البحث برسم تخطيطى يوضح تسلسل نسب ملوك مرسيا على مر تاريخها بدءًا بأول ملوكها بندا (٦٣٢ — ٦٥٤) ، وانتهاءً بآخرهم كيولوف ، (٨٢١ — ٨٢٣م) • وفوق هذا كله ،

زودنا البحث بلوحتين تمثل الاولى دينار الملك أوفاء الذهبى ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، والثانية تشير الى سور أوفاء العظيم •

وأخيرا ، اختتمنا البحث بقائمة بأسماء المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها فى اعداده من أجنبية وعربية •

وختما لا يسعنى الا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى لكل من قدم لى يد العون ، سواء فى داخل البلاد أو خارجها • والله أسأل أن يكون فى هذا البحث ما يعين على كشف ستر التعظيم التاريخى التى أسدلناها البابوية على حقيقة تاريخ أوفاء ملك انجلترا العظيم •

هذا هو مقدار جهدى العلمى المتواضع ، فان كنت قد أصبت فلى أجران ، والله الفضل والمنة ، وان كان غير ذلك فلى أجر الاجتهاد ، وعلى الله قصد السبيل •

« وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب » •

مصطفى حسن محمد الكنانى

رمضان المبارك ١٤٠٦ هـ
مايو ١٩٨٦ م

} الاسكندرية

دراسة نقدية تحليلية لأهم مصادر البحث ومناهجه

لأمراء فى أن تاريخ عصر الملك أوفى ملك انجلترا الانجلوساكسونى يكتنفه لبس وغموض شديدان * والموضوع لم يصدر فيه حتى الآن سواء فى الشرق أو الغرب كتاب علمى مستقل قائم بذاته يتناوله من كافة جوانبه ، يضاف الى ذلك وجود العديد من الثغرات التى لم تذكرها المصادر التاريخية المعاصرة وغير المعاصرة على حد سواء * ولعل السبب فى ذلك يعزى الى ما اكتنف الكتابات التاريخية الخاصة بتاريخ عصر هذا الملك العظيم على امتداد فترته الزمنية (٧٥٧ - ٧٩٦م) من قصور * حقيقة أن هناك بعض المراجع التى تناولت بالاشارة بعض جوانب الموضوع ، الا أن الثغرات لا زالت متعددة ، لان من تناولوا سيرته بالكتابة قد مروا عليها مرور الكرام ، ومن ثم كان علينا سد هذه الفجوات عن طريق المقارنات والموازنات التاريخية * وجدير بالذكر هاجنا أن الكتابات التاريخية التى تناولت تاريخ عصر الملك أوفى بصفة خاصة يعتمدها كثير من الغموض والقصور ، ربما لاعتماد المؤرخين الغربيين الحديثين على شق واحد من الاصول دون الشق الاخر منه وقد يكون السبب اما لعدم الماهم بالموضوع تمام الامام ، واما لتعدهم اهمال هذا الجانب لتصوير الاحداث من وجهة نظر صليبية بحثة غير منصفة * ولا شك أن تاريخ انجلترا الانجلوساكسونية كفصل أو بعض فصل من فصول تاريخ انزا البرابرة الجرمان بالمفهوم العام ، قد تناولته بعض المراجع بشتى اللغات * ورغم ذلك يمكن القول بأن تاريخ عصر الملك أوفى لم يدرس بعد دراسة علمية موضوعية تاريخية

واقفية ، ولا زال فى حاجة ماسة الى ابحاث مستفيضة تجمع بين العلم بمصادره واصوله اللاتينية والانجليزية القديمة وغيرها من المنابع على حد سواء ، وذلك من أجل الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة .

والحقيقة أن كل مادون من تاريخ عصر الملك أوفيا وعلاقاته بالممالك والبلدان الأخرى داخل انجلترا وخارجها ، لم يتعد بضع صفحات أو سطرا أو بعض سطر ، أو شذرات ونقف مبعثرة فى هذا المرجع أو ذاك ، مما لا يشفى من غل . ومن ثم لا تصلح أساسا لدراسة تاريخية علمية موضوعية ، اللهم باستثناء ما كتبه سير فرانك ستنتون (١) Sir Frank Stenton فى كتابه المشهور « انجلترا الانجلوساكسونية Anglo - Saxon England » وبالمثل ما كتبه هارت . س Hart. C تحت عنوان : « مملكة مرسيا The Kingdom of Mercia » ، وكذلك ما دونه ورمالد . ب Wormald P.

(١) يعتبر كتاب ستنتون (توفى عام ١٩٦٧م) أعظم ما كتب عن انجلترا الانجلوساكسونية حتى الان . وهو يتناول تاريخ قدوم الغزاة الانجلوساكسون الى انجلترا واقامتهم ممالكهم المشهورة هناك وتطورها حتى قدوم الغزاة النورمانديين بقيادة وليام الفاتح (١٠٦٦ - ١٠٨٧م) ، ولقد أفادنا على امتداد البحث . وتعزى أهميته لتضمنه العديد من المعلومات والروايات التاريخية التى حصل عليها من مصادر لم تنتج لغيره من المؤرخين المعنيين . ولقد أمعنا برواية هامة أكدنا على صحتها ما وصلنا اليه بصدد وجود ثمة اتفاق تجارى وعلاقات سياسية بين أوفيا والخلافة العباسية، الا أن ما يعاب عليه اعتماده مثل غيره من المؤرخين على الحدس والتجريح

فى الفصل الخامس من كتابه الخاص بتاريخ الأنجلوساكسون تحت عنوان : « عصر أوفّا وألكوين The Age of Offa & Alcuin » وفيما عدا ذلك فإن تاريخ عصر الملك أوفّا ضائع وسط زحام الصراعات السياسية والحضارية التى نشبت بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ، والتى اهتم بها المؤرخون الحديثون دون غيرها من الموضوعات المتخصصة مثل موضوع بحثنا هذا * ولعل هذا يفسر سبب عدم كتابة أى من المؤرخين المسلمين شيئا عن تلك الحقبة من تاريخ انجلترا فى بداية العصور الوسطى ، فلقد درج هؤلاء المؤرخون على تدوين الاحداث التاريخية طبقا للنظام الحولى على امتداد الحقبة الوسيطة من التاريخ ، مما حال بينهم وبين الاهتمام بمثل هذا الموضوع الخاص *

هذا ، ولقد زاد من تعقيد الامور ندرة الوثائق والمصادر المتعلقة بعصر هذا الملك العظيم من جهة ، فضلا عن ان الروايات التى أشارت اليه من قريب أو بعيد فى أى من المصادر * كان يشوبها التناقض والغموض فى كثير من الاحيان ، مما صعب مهمة الباحث فى سرد احداث الموضوع بطريقة أو بأخرى ، ورغم هذا ، فإننا بفضل الله ، ثم بفضل ما وصلنا من مادة علمية وروايات تاريخية

(٣) حون تأييد ما وصل اليه من أفكار بالحجج والاسانيد * ولعل ذلك مرده ضياع كافة وثائق عصر الملك أوفّا * هذا ولقد اعتمدنا على الطبعة الثالثة من كتابه (١٩٧١م) التى أعيد طبعها عام ١٩٨٤م تحت عنوان :

Anglo - Saxon England, 3rd. ed., (Reprinted), Oxford, 1984.

اعتصرناها من المصادر القديمة ، فضلا عن المراجع المختلفة ، سواء ما هو مكتوب باللاتينية والانجليزية القديمة ، أو بالانجليزية والفرنسية الحديثة والعربية ، قد استطعنا سد العديد من الثغرات انتى واجهتنا على امتداد البحث ، بحيث أمكننا ربط الموضوع فى وحدة متكاملة متناسقة •

لقد قمنا بتصنيف مصادر البحث الى مجموعتين رئيسيتين هما :

أولا : مصادر شهود العيان وغيرهم من المعاصرين لاحداث الفترة الزمنية موضوع البحث •

ثانيا : المصادر السابقة للموضوع والمتأخرة عنه زمنيا •

وتأتى على قمة المجموعة الأولى الحوليات الأنجلوساكسونية التى نشرت بالانجليزية الحديثة تحت عنوان: «The Anglo Saxon Chronicle» وهى تشمل أحداث الفترة الزمنية الممتدة من عام ٦٠ ق م حتى عام ١١٥٤م ولقد اعتمدنا على ترجمة ج. ن. جارمونسواى G. N. Garmonsway وهى بحق تعتبر أدق وأقيم التراجم التى صدرت فى هذا الصدد لأصول مخطوطات الحوليات السبع المدونة بالانجليزية القديمة ، فضلا عن الثلاث تراجم اللاتينية الأخرى (٢) • وتعزى أهمية تلك الحوليات

(٢). نشرت تلك الترجمة تحت عنوان :

«The Anglo - Saxon Chronicle, trans. & edited by G. N. Garmonsway, London, 1972.

كذلك استعنا فى بعض جوانب البحث بترجمة أخرى للدكتورة دورثى

=

الى أنها تتضمن معلومات وروايات تاريخية هامة عن تاريخ انجلترا
الأنجلوساكسونية بعامة قبل وبعد قدوم الغزاة الانجلوساكسون
وغيرهم من البرابرة الجرمان الى بريطانيا منذ الغزو الرومانى لها
على يد يوليوس قيصر (٥٥ق م - ٤٩ ق م) وحتى عام ١١٥٤ م *

هذا وتبدأ الحوليات بسرد الخطوط العريضة لاحوال بريطانيا
منذ الغزو الرومانى على يد يوليوس قيصر كما أسلفنا ، وما تلاه
من أحداث هامة حتى نهاية النصف الاول من القرن الخامس
الميلادى * ويلاحظ أن أحداث تلك الفترة والسنوات التى تلتها حتى
عام ٨٩١ م ، قد اقتبست من الحوليات التى دونت بالانجليزية
القديمة فى عصر الملك الفريد العظيم (٨٧١ - ٨٩٩ م) وفيما
بعد عصر الفريد يلاحظ تنوع كتابة الحوليات لتعدد الكتاب وكانوا
من رؤساء الاساقفة الانجليز *

وثمة ملاحظة هامة ينبغى الاشارة اليها ، وهى أن كافة
المخطوطات السبع قد تشابهت رواياتها التاريخية الى حد بعيد على
امتداد أحداث الفترة الزمنية الممتدة منذ بداية الحوليات وحتى عام
٩١٥ م ، مما أوقع المؤرخين فى حيرة ، وتضاربت الاراء حول تبرير
هذا التشابه (٣) ولقد بذلت محاولات جادة لتفسير أسباب التشابه

= وايتلوك Dorothy Whitelock نشرتها فى الجزء الاول من

مجموعة الوثائق التاريخية الانجليزية انظر :

E. H. D., ed. D. Whitelock, Vol. I, pp. 145 - 261.

Stenton, Sir F., Anglo - Saxon England, 3rd. ed..

(٣)

Oxford, 1984, p. 688.

من جهة ، وكشف ستر الغموض الذى اكتنف رواياتها من جهة أخرى ، قام بها البروفسور شارلز بلمر Charles Plummer واستطاع بعد مقارنة روايات الحوليات المختلفة ببعضها ان يكشف بعض غموضها . وأشار الى ذلك فى مقدمته التى قدم بها مجموعتين من تلك الحوليات رمز اليهما بالحرفين « B » و « A » وأصدرها فى جزأين ، صدرا فى أوكسفورد فى عامى ١٨٩٢م ، و ١٨٩٩م (٥) .

لقد اشتهرت المجموعة الاولى « A » باسم حولية أو مخطوطة باركر Ms. Parker . ولقد رمزنا اليها على امتداد البحث باسم «The Parker Chronicle» (٥) . وتعتبر أهم الحوليات السبع على الاطلاق ، وتبدأ بأحداث عام ٦٠ ق.م وتنتهى بأحداث عام ١٠٧٠م (٦)

(٤) أعادت الاستاذة الدكتور دورثى وايتلوك إصدار هاتين المجموعتين بعد اضافتها مقدمة تحليلية لكافة الحوليات السبع ، فضلا عن ملحق خاص حددت فيه عام بداية كتابة الحوليات . وتعزى أهمية طبعة شارلز الى انه أول من قارن المجموعة الاولى بتلك المحفوظة فى الكلية اليسوعية فى كامبردج علم ١٨٦٥م . انظر

The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XXXIII; E. H. D., Vol, I, p. 109.

(٥) نسبة الى رئيس أساقفة كانتربريورى المدعو متى باركر Matthew Parker

(١٠٥٤ - ١٥٧٥م) . وللمزيد عن أهمية الحولية ، انظر :

The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmensway, pp. XXXII — XXXIII; E. H. D., Vol. I, pp. 109 - 110; Stenton, op. cit., p. 288 ff.

(٦) توجد المخطوطة بالمتحف البريطانى تحت عنوان :

=

أما المجموعة الثانية فلقد رمز اليها بالحرف « E » وعرفت باسم Ms. Laud وعلى امتداد البحث رمزنا اليها باسم «The Laud Chronicle» ويلاحظ أن أحداثها حتى عام ١١٢١م قد كتبت بيد شخص واحد ، ثم دون عدد آخر من الكتاب الحوليين أحداث الاعوام التالية حتى عام ١١٥٤م . وتتخلص أهميتها في أنها دون غيرها من الحوليات قد سردت تاريخ الملوك النورمانديين وأحداث عصورهم بتفصيل واف (٧) .

Corpus Christi College, Cambridge, Ms. No. 173, Folios 1 - 32, (60 B. C. - A. D. 1070).

جدير بالذكر ان مقممتها قد كتبت باللاتينية ، ثم بعد ذلك بالانجليزية وتعزى أهميتها لاحتوائها على عدد من القصائد الشعرية الهامة لم يرد بعضها في الحوليات الاخرى . ولقد كتبتها عدد من الحوليين يتراوح ما بين ثلاثة عشر الى أربعة عشر كاتباً . ويعاب عليها أن أحداث أعوام ما بعد سنة ١٠٠١م غامضة المعنى وضعيفة الاسلوب ، ولقد دونت في كنيسة كانتر بيوري . وللمزيد انظر مصادر الحاشية السابقة رقم (٥) .

(٧) عرفت بهذا الاسم نسبة الى رئيس أساقفة دير بتربورو Beterbourough المدعولود Laud (١٥٧٣ - ١٦٤٥م) . وتوجد المخطوطة الاصلية في مكتبة بوليان Bodleian في أوكسفورد تحت عنوان :

MS. Laud, No. 632 (A.D.I - A.D. 1154).

هذا ، ولقد نشرت الدكتور دورثي وايتلوك هذه الحولية بصورتها الاصلية تحت عنوان :

The Beterbourough Chronicle (Early English Manuscripts in Facsimile), Copenhagen, 1954.

وللمزيد عن أهمية الحولية انظر :

The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, pp. XXXIII, XXXIX - XLI, Stenton, op. cit., pp. 691 - 692.

أما بقية الحوليات فلقد نظمت فى عدة مجموعات كانت فى البداية ملكا للسير روبرت قطن Sir Robert Cotton ، ثم آلت الى المتحف البريطانى حيث حفظت هناك تحت عنوان The Cottonian Collections of Mss. ورمز اليها بالحروف التالية « B » و « C » و « D » و « F » • وجدير بالذكر أن المجموعتين « B » و « C » تعتبران نسختان منفصلتان تماما عن بقية المجموعات ، وتمت كتابتهما بواسطة عدد من رؤساء اساقفة دير بلدة أبينجدون Abingdon جنوب أوكسفورد (٨) •

هذا وتعد المجموعة « D » أكثر المجموعات تعقيدا ، اذ كتبها عدد ضخم من الكتاب الحوليين فى دير ورسستر Worcester وأقدم رواياتها كتبت فى عام ١٠٥٠م ، وآخرها دونت فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى • وتبدأ احداثها مع بداية العام الاول للميلاد وتنتهى بأحداث عام ١٠٧٦م • الا أن بها اضافات تفيد هزيمة أنجوس

(٨) توجد المجموعة « B » بالمتحف البريطانى تحت عنوان :

Ms. B. British Museum, Cotton Ms. Tiberius «C» A VI, Folios 1 - 34 (A.D. — A.D. 977).

وتوجد المجموعة « C » تحت العنوان التالى :

Ms. C. British Museum, Cotton Ms. Tiberius BI, folios 115 — 164 (60 B.c — A. D. 1066). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, pp. XXXVI — XXXVII; Stenton, op. cit., p. 689.

ايرل أوف موراي Angus Earl of Moray عام ١١٣٠م^(٩)، مما يؤكد أن المجموعة قد دونت بعض رواياتها في زمن ما في بلاط سكوتلاند * هذا من جهة ، ومن جهة أخرى امدتنا تلك المجموعة بمعلومات هامة عن عصر ادوارد المعترف Edward the Confessor (١٠٤٢ — ١٠٦٦م) ، فضلا عن ظروف قدوم الغزاة النورمانديين الى انجلترا ، وما تلاها من احداث جسام^(١٠) *

اما المجموعة المشار اليها بالحرف « F » ، فلقد كتبت باللغتين اللاتينية والانجليزية القديمة ، وتؤكد الروايات أنها دونت في كاتدرائية القديس أوجسطين في كانتربوري في النصف الثاني من القرن الحادى عشر الميلادى ، ولقد كتبت نقلا عن المجموعة « E » وتعتبر اقل المجموعات أهمية^(١١) *

(٩) تقع موراي في سكوتلند في منطقة جبلية وهي عاصمة مقاطعة تحمل نفس الاسم ، وكانت مساحتها آنذاك أكبر منها اليوم أنظر : P. E. P., p. 495; D. U., pp. 84, 578, 678.

(١٠) توجد المجموعة « D » بالمتحف البريطانى تحت عنوان : Ms. D. (The Worcester Chronicle), British Museum, Cotton Ms. Tiberius B IV, (A. D. I - A. D. 1079) with the addition of an annal 1080 (= 1030). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway pp. XXXVI — XXXIX; Stenton, op. cit., p. 690.

(١١) توجد بالمتحف البريطانى تحت عنوان : Ms. F. British Museum, Cotton Ms. Domitian A VIII (A. D. I - A. D. 1058). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway p. XLi; Stenton, op. cit., p. 691.

هذا ، ومن الاهمية بمكان الاشارة الى أن البروفسور جارمونسواى Garmonsway قد أشار الى وجود مجموعتين آخرين اضافة الى ما سبق ، ولقد رمز اليهما بالحرفين « H » و « I » وتتكون الاولى « H » من ورقة واحدة تشمل أحداث السنوات من عام ١١١٣م حتى عام ١١١٤م ، ويعتقد أنها كتبت فى وينشيستر Wenchester بأحد الأديرة المقامة هناك (١٢) . أما الأخرى فلقد دوت أحداثها بكنيسة المسيح فى كانتريريورى ، وتشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ٩٨٨م حتى عام ١٢٦٨م ، ولقد ترجمت من اللاتينية والانجليزية القديمة الى الانجليزية الحديثة بواسطة جارمونسواى ونشرها لأول مرة فى ملحق خاص فى كتابه المشار اليه آنفا (١٣) .

وجدير بالذكر أن الحوليات الساكسونية قد نقلت بعض أحداثها الى اللاتينية ثلاث مرات ، وأضيفت اليها روايات ومعلومات تاريخية جديدة . ولقد تم ذلك لأول مرة بواسطة الراهب آسر Asser

(١٢) توجد بالمتحف البريطانى تحت عنوان :

Ms. H. British Museum, Cotton Ms. Domitian AIX (on the Single Leaf folio 9). cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLii.

(١٣) توجد بالمتحف البريطانى بعنوان :

Ms. I. British Museum, Cotton Ms. Caligula A XV, folios 132 b - 139. cf. The Anglo - Saxon Chronicle, ed. Garmonsway, p. XLII & Appendix A., pp. 276 - 272.

كاتب سيرة الملك ألفريد ، حيث نقل أحداث الفترة الممتدة من عام ٨٥١م حتى عام ٨٨٧م * وفى المرة الثانية أمرت ماتيلدا **Matilda** راهبة دير اسن **Essen** كاتب الحوليات ايزلويرد **Aethelweard** وكلاهما من أفراد البيت الحاكم فى وسكس **Wessex** بكتابة الأحداث منذ بداية الحوليات حتى عام ٨٩٢م ، وأضاف ايزلويرد أحداث السنوات التالية بدءا بعام ٩٨٣م وانتهاء بعام ٩٧٥م ، مما زاد من أهمية الحولية ورفع من قيمتها العلمية (١٤) *

وفى المرة الثالثة والاخيرة قام المدعو فلورانس **Florance** أحد رهبان دير ورسيستر **Worcester** (توفى عام ١١١٨م) بترجمة الحوليات ، ولقد تمت ترجمته نقلا عن عدة حوليات على رأسها حوليات المجموعة « D » ، وتعزى أهمية تلك الترجمة اللاتينية الى أنها حفظت لنا أهم سمات وتقاليد الأنجلوساكسون فى عصره ويرجع أن فلورانس قد نقل عن كبار ملاك الأراضي المجاورين للدير عادات وتقاليد الأنجلوساكسون المتوارثة والتي أمدنا بها

(١٤) الترجمة سيئة للغاية ، تؤكد جهل صاحبها باللاتينية وقواعدها ، وتعزى أهميتها الى أنها تؤكد اهتمام حكام وسكس باللغة اللاتينية
الميلادى ، انظر : Stenton, op. cit., pp. 461, 691

كمحاولة فريدة من نوعها لحياتها فى انجلترا فى القرن العاشر
وجدير بالذكر أن الحولية نشرت باللاتينية عام ١٩٦٢ بواسطة أ
كامبل **A. Campbell** تحت عنوان :

The Chronicle of Aethelweard (cf. Nelson Medieval Texts, London, 1962). cf. Stenton, op. cit., p. 691.

بعد اضافتها الى الحولية المترجمة (١٥) •

مهما يكن من أمر ، فمما لاشك فيه أن تلك الحوليات قد أمدتنا بمعلومات وروايات تاريخية هامة ، أفادتنا فى سد العديد من ثغرات البحث • فلقد أفادتنا فى كشف أهم سمات عصر الملك أوفًا وتكوين اطراعام عن جهوده العسكرية والسياسية الدبلوماسية التى بذلها لاتمام بناءصرحوحدة الأمة الانجليزية • وما يعاب عليها الايجاز الشديد خاصة بالنسبة لأحداث عصر الملك أوفًا بالذات • كذلك حفظت لنا تلك الحوليات العديد من المعلومات والروايات التاريخية التى نقلتها عن أصول ضاعت فى خضم الصراعات التى سادت انجلترا فى الفترة السابقة لعصر الملك أوفًا والتالية له • مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان كتاب تلك الحوليات ، وكلهم كانوا من رجال الكنيسة الرومانية قد تعمدوا ذلك ، طمسا لحقيقة معالم تاريخ هذا الملك العظيم ، الذى كان يعتبر فى نظرهم ونظر البابوية من الخارجين عن الايمان الصحيح ، ومن المعادين للكنيسة •

والى جانب الحوليات الأنجلوساكسونية ، توجد مجموعة هامة من الرسائل والمواثيق ، وتعزى أهميتها الى ان من كتبوها كانوا من المعاصرين ونسبوا العيان للفترة موضوع البحث • وكانت

(١٥) طبعت تلك الحولية تحت عنوان :

Florentii Wigorniensis Monachii Chronicon ex Chronicis, ed. B. Thrope, 2 Vol., London, 1848 - 1849. cf. Stenton, op, Cit., p. 691 f.

خير سند لنا فى كشف الكثير من جوانب البحث الغامضة ، وسد العديد من الفجوات على امتداده • ونخص بالذكر منها رسالة شارلمان الى أوفى التى على ضوءها أكدنا اهتمام الأخير بالتجارة ، وعقده أول اتفاقية تجارية فى تاريخ إنجلترا من جهة ، ومن جهة أخرى أكدت مدى ما وصلنا اليه عن سمو وعظم مكانة أوفى وتركه بصماته على مجريات الأحداث السياسية فى القارة الأوروبية من جهة ثانية ، وتأكيد احترام شارلمان للملك أوفىًا ومعاملته كند مساو له من جهة ثالثة (١٦) • وهناك رسالة أخرى أرسلها شارلمان أيضا الى كل من ايزلهيرد Aethelheard رئيس أساقفة كانتربوري ، وكيولوف Ceolwulf أسقف ليندسى ، ولقد اعتمدنا عليها فى تأكيد ما وصلنا اليه بصدق ابعاد أوفى لهما وطردهما من إنجلترا لمواقفهما المعادية لسياسته ، والتى كانوا يعتبرانها « خارجة عن الايمان » وفى غير صالح الكنيسة ، وكانا قد طالبا شارلمان قبل أن تسوء علاقاته بأوفى بالتدخل لتصفية جو علاقاتهما مع الأخير ، ومن ثم سماحه لهما بالعودة الى إنجلترا من منفاهما فى الخارج (١٧) •

وبالمثل استفدنا من رسالتين هامتين أرسلهما الكوين أوف يورك (١٨) Alcuin of York أرسل الأولى الى رجل دين أيرلندى

cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 197, pp. 848 - 49. (١٦)

cf. E. H. D., Vol. I, Doc. No. 196, pp. 847. (١٧)

(١٨) ولد الكوين فى يوركشير عام ٧٣٥م ، وهو أنجلوساكسونى الأصل

يسمى كولكو Colcu ، يؤكد فيها شدة العداء الذي كان يكتنه كل من شارلمان وأوفًا لبعضهما (١٩) . أما الرسالة الثانية فلقد أرسلها الكوين الى أحد نبلاء مرسيا المدعو أوسبرت (٢٠) Osbert ولقد أفادتنا في ابراز اصلاحات أوفًا التشريعية ، وكانت اضافة جديدة اكدت ما وصلنا اليه في هذا الصدد ، فضلا عن ابرازها مدى المكانة التي كان يتمتع بها أوفًا ، وعظم شأن انجلترا في عصره . وهناك رسالة ثالثة أرسلها الكوين أيضا الى الملك أوفًا نفسه ، ولقد أفادتنا أيّما افادة في تأكيد اهتمامات أوفًا العظيم بالتعليم والثقافة ، فضلا عن ابرازها مدى تقدم الامة الانجليزية الثقافى والعلمى ، وعظم الثروة التي تمتعت بها في عصره (٢١) .

تعلم وعمل في كنيسة يورك York ، وتعود شهرته الى ادارته مدرسة بلاط شارلمان (مدرسة القصر) . وكان يجيد اللاتينية والعبرية ، وعرف باتساع مداركه ودراساته الفلسفية واللاهوتية فضلا على شغفه بالتاريخ والحساب . ترك لنا أكثر من ثلاثمائة رسالة ، تمتاز بأهميتها التاريخية والادبية يعد من أعظم النحويين الادباء في عصره . قضى معظم حياته في أوروبا ، ومات في كنيسة القديس مارتن أوف تور St. Martin of Tours عام ٨٠٤م . انظر : Wormald, p., The Age of OFF & Alcuin, cf. Anglo — Saxons, ed. J. Campbell, Phaidon Press, London, 1980, Chapter IV, p. 106; D. U., pp. J. 42 — 43.

- cf. E. H. D., Vol. I, pp. 840 — 42. (١٩)
cf. E. H. D., Vol. I, pp. 854 — 56. (٢٠)
cf. E. H. D., Vol. I pp. 846 — 47. (٢١)

أما مجموعة الموائيق الساكسونية التي نشرت تحت عنوان : *Cartularium Saxonicum* ، فتعزى أهميتها الى كونها قد كشفت لنا مدى النجاح الذى حققه الملك أؤفا بصدد بسط سيطرته على الممالك الأنجلوساكسونية ، وادخالها تحت سلطانه المباشر داخل نطاق الاتحاد الكونفيدرالى الذى كونه من أجل توحيد الامة الانجليزية تحت زعامة مرسيا . هذا ، ولقد تعددت تلك الموائيق ، وتم جمعها واصدارها فى مجموعتين ، وما يهمننا المجموعة الثانية التى تضمنت الموائيق الصادرة قبل وفاة الملك ادجار *Edgar* ملك وسكس (٩٥٩ — ٩٧٥ م) (٢٢) . وأهمية تلك الموائيق ترد فى المقام الأول ، اذ أن بعضها قد صدر باسم الملك أؤفا نفسه ، فضلا عن غيره من الملوك الانجلوساكسونيين المعاصرين وغيرهم . وتشير الى الهبات والعطايا التى كانت تمنح فى صورة أراض وعقارات الى كبار رجال الدين والعلمانيين . ولقد أفادتنا أيّما افادة فى كشف مدى اتساع نفوذ الملك أؤفّا وسيطرته على كافة الممالك الاخرى من خلال اندراجها فى الاتحاد الكونفيدرالى الانجليزى الذى أقامه تحت زعامته

(٢٢) أصدر المجموعة الاولى ج . م . كامبل *J. M. Kamble* تحت عنوان : *Codex Diplomaticus Aevi Saxonici*, 6 Vols., London, 1839 - 1848.

وأصدر المجموعة الثانية و . دى . ج . برتش *W. de G. Birch* . ولقد تضمنت العديد من الوثائق التى لم تشر اليها مجموعة كامبل مما يؤكد أهميتها ، الا ان ما يعاب عليها عدم تمييز صاحبها بين الوثائق الاصلية والزائفة ، ونشرها دون تحقيق أو نقد . ولقد نشرت تحت عنوان :

Cartularium Saxonicum, 3 Vols., & Index, London, 1885 - 93. cf. E. H. D., Vol. I, p. 385; Stenton, op. cit., p. 702.

كذلك أمادنا الكتاب الوثائقي المنشور تحت عنوان : Councils & Ecclesiastical Documents, ed. Hadden & W. S. Stubbs, Oxford, 1871 لما احتواء من وثائق هامة ، أكدت مدى ما وصلنا اليه من شدة العداء المتبادل فيما بين البابوية وأوفًا ، وتخطيط الأخير لخلع البابا أدريان الاول (٧٧٢ — ٧٩٥ م) ، فضلا عن تأكيدها وقوف شارلمان الى جانب البابا في خندق واحد ، وتخطيطهما معا للتخلص منه «لواقفه المعادية للكنيسة والايمان» •

ويأتى فى ختام تلك المجموعة المؤرخان الحوليان اينها رد (٢٣) Einhard ، ونوتكر المشهور بالمتلثم (٢٤) • Notker the Stammerer

(٢٣) ولد اينهارد من والدين كريمين من سكان ودى نهر المين بالمانيا عام ٧٧٠م • تعلم ودرس فى دير فولدا Fulda • ارسله بوجولف Baugolf رئيس الدير الى شارلمان فى عام ٧٩١م لادارة مدرسة القصر فى آخن Achen ، ومنذ ذلك الحين وحتى موت شارلمان عام ٨١٤م ظل اينهارد صديقه المقرب اليه • وكذلك كان حاله مع ولده وخليفته لويس التقي • وفى عام ٨٣٠م ، اعتزل اينهارد الناس وعاش فى مدينة سيلجنستاد Seligenstadt ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٤٠م • ترك لنا اينهارد أربعة أعمال باللاتينية ، أهمها مصدرنا هذا تحت عنوان حياة شارلمان «Vita Carlo» فضلا عن مجموعة رسائله التى تعدت السبعين رسالة بوحدة عرفت باسم Einharti Epistolae كتبها على امتداد السنوات (٨١٤ — ٨٤٠م) • وللمزيد انظر :

[Two Lives of Charlemagne, ed. L. Thrope., pp. 15 — 21.

(٢٤) عرف باسم المتلثم بسبب سقوط اسنانه وعدم قدرته على التحدث

=

كاتباً سيرة وتاريخ شارلمان العظيم • فلقد أفادتنا كتاباتهم في تأكيد وجود صداقة وعلاقات سياسية تجارية بين شارلمان والخلافة العباسية من جهة ، وأكدنا على ضوئها فضلاً عن غيرها من المصادر والمراجع قوة علاقات أوفاء التجارية والسياسية بالعباسيين ولقد اعتمدنا على ترجمة لويس ثروب Lewis Thrope طبعه لندن ١٩٧٤م والمنشورة تحت عنوان :

«Einhard & Notkar the Stammerer, Two Lives of Charlemagne».

هذا ، ومن المصادر التي اعتمدنا عليها في اعداد بحثنا هذا ، وساعدتنا على ربط الاحداث وتسلسلها ، كتاب « زبدة التاريخ المؤلفه » *Flors Historiarum* أو *Flowers of History*

بطلاقة ، كما أشار هو نفسه الى ذلك ، كان من اعظم كتاب شارلمان ، كتب عنه وعن أسرته وأمجاده ، ولد بالمانيا بالقرب من بحيرة كونستانس على الحدود السويسرية حوالى عام ٨٤٠م قضى شبابه في دير سانجيل Saint Gall البندكتى ، عمل بالتدريس ، ومات عام ٩١٢م • أمدنا بمعلومات قيمة لم يشر اليها اينهارد البقة ، حيث دون فصلاً عن حصار شارلمان لمدينة بافيا Pavia عام ٧٧٣م وانتصاراته على اللونجبارديين Longbards وملكهم ديذيريوس Desiderius ووصف المعركة بدقة متناهية • دون كتابه شارل العظيم Carlo Magno ٨٨٣ أو ٨٨٤م وأتمه عام ٨٨٧م • تناول حياة شارلمان وعاداته وحملاته العسكرية وعلاقاته بالكنيسة • انظر :

Two Lives of Charlemagne, ed. L. Thrope, pp. 21 — 29.

روجر أوف ويندوفر (٢٥) Roger of Wendover وقد تناول أحداث الفترة الممتدة من عام ٤٧٧م حتى عام ١٢٤٥م ، ورغم قلة مذكره عن الملك أوفيا ، الا انه قد ساعدنا بشكل كبير في سد بعض فجوات البحث على امتداده . كما أنه هو وحده دون غيره الذي أشار الى مكان دفن الملك أوفيا في بلدة أوفلي Offley المجهولة ، ومحاولة الملك حنا (جون) صاحب الماچنا كارتا Magna Carta (١١٩٩ —

(٢٥) عرف روجر باسم ونحوفر نسبة الى بلدة بهذا الاسم في مقاطعة بكنجهام في إنجلترا ، عمل كاهنا مرتلا (شماس) وتدرج في السلك الكنسي في عهد الملك حنا حتى وصل الى درجة رئيس ديربلفدار الملحق بدير القديس البيتي Albeney . توفي عام ١٢٣٧م . ولقد اعتمدنا على الجزء الاول من تاريخه طبعة لندن ١٨٤٩م ، ويشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ٤٤٧م حتى عام ١١٦٩م . ولقد نشر تحت عنوان :

Roger of Wendover, Flowers of History, Comprising the History of England from the Descent of The Saxons to A. D. 1235, Formerly Ascribed to Matthew Paris, trans from the Latin by Giles J. A., Vol. I, London, 1849.

في هذا الصدد وللمزيد انظر :

Roger of Wendover, op. cit., Vol. I, pp. V — VII.

وايضا انظر : مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الادنى (١٠٩٥ — ١١٦٧م / ٤٨٨ — ٥٦٧م) ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، حاشية ٢ ص ٢٦ — ٢٧ ، مصطفى حسن الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامي (١١٧١ — ١٢٩١م / ٥٦٧ — ٦٩٠هـ) ، الاسكندرية ١٩٨١ حاشية ١ ص ٤٦ .

١٢١٦م / ٥٩٥ — ٦١٣هـ) البحث عن تلك المقبرة واخراج جثة أؤفا لدفنه فى المكان اللائق به وأحياء ذكراه • كذلك أمدنا برواية هامة الفحوى ، اذ ذكر أن الملك حنا قد أرسل سفارة من لدنه الى الخليفة الموحدى محمد الناصر (٥٩٥ — ٦١٠هـ / ١١٩٩ — ١٢١٣م) يعلن فيها استعدادده لاعتناق الاسلام والدخول فى زمرة الموحدين وادخال انجلترا تحت راية التوحيد •

والحقيقة أن هاتين الروايتين الخطيرتين لم تساعدنا فى تأكيد ما توصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أؤفًا الاسلام فحسب ، بل أكدت أيضا بما لا يدع مجالا لبادرة شك صحة ما توصلنا اليه بشأن اعجاب الملك حنا الشديد بالملك أؤفا وسعيه لاحياء ذكراه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كانتا لنا خير سند يؤكد الرأى الذى توصلنا اليه ، والخاص بترسم الملك حنا خطى أؤفا فى اعتناق الاسلام ، وارساله سفارته المشهورة الى الناصر محمد الخليفة الموحدى كما اسلفنا تحقيقا لتلك الخطوة الجريئة التى لو قدر لها النجاح لتغيرت خريطة أوربا الغربية ، ولارتفعت راي التوحيد فى عنان سمائها •

ان أى باحث مدقق ومنصف لا يثك لحظة فى صحة هاتين الروايتين ، اذ أن روجر لم يكن مجرد شاهد عيان معاصرا للملك حنا فحسب ، بل كان صديقا حميما له أيضا ، ومن ثم ، كان على علم ببطون الأمور بحكم صلتة الوطيدة ومكانته القريبة من فكر حنا وعقله ، واذا علمنا أن البابوية قد اتهمت حنا بالكفر واعتبرته من المهرطقة الخارجين عن الايمان من جهة ، وسعيها لغزله واصدار قرارات الحرمان ضده ، وتحريض النبلاء والبارونات الانجليز

والشعب على الثورة ضده وعزله ، ومصادرة املاكه واغتصابها ،
من جهة أخرى لتؤكد لنا على الفور صحة رواية روجر أوف ويندوفور
هذه .

ويأتى بعد روجر أوف ويندوفور فى الاهمية مصدر آخر بنفس
الاسم « زبدة التاريخ » *The Flowers of History* « لصاحبه المؤرخ
الانجليزى متى أوف ويستمينستر *Matthew of Westminster* ، وتنتهى
أحداثه فى عام ١٣٠٧م / ٥٧٠٧ . ولقد أمدنا بعدة روايات ساعدتنا
فى ربط الاحداث وتسلسلها على امتداد البحث (٢٦) . اضافة لما
سبق أمدتنا حوليات المؤرخ روجردى هوفيدن *Roger de Hoveden*
بمعلومات وروايات تاريخية هامة ساهمت فى سد بعض الفجوات ،
وربط الاحداث (٢٧) .

(٢٦) عرف متى أوف ويستمينستر بهذا الاسم نسبة الى مقاطعة
ويستمينستر بانجلترا ، وكان من أشهر الرهبان البنعكتيين ، لاسف
لا نعرف عنه الكثير ، الا أن شهرته قد ذاعت فى القرن الرابع عشر
الميلادى . اعتمد فى كتاباته على متى الباريسى وروجر أوف وندوفور
ونقل عنهما . للمزيد انظر :

*Matthew of Westminster, The Flowers of History, trans. from the
original by C. A. Yonge, Vol. I, (B. C. 4400 to A. D. 1066), London
1853, pp. 1 - III; cf. also:*

مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ، حاشية ١
ص ٢٧ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الادنى
الاسلامى ، حاشية ٢ ص ٤٦ .

(٢٧) عرف روجردى هوفيدن بهذا الاسم نسبة الى صاحبة هوفيدن
=

هذا ، ولقد أمدتنا كتابات سيمون أوف دورهام Simoen of Durham بمادة علمية لا بأس بها ، ويعرف كتابه باسم « تاريخ الملوك Historia Regum » ولقد نشر بالانجليزية تحت عنوان : « History of The Kings » ، ولقد اعتمدنا على ما نشرته الاستاذة الدكتورة دورثي وايتلوك D. Whitelock من هذا المصدر في الجزء الأول من مجموعة « الوثائق التاريخية الأنجليزية (١٨) »

=

Hoveden من ضواحي إيست ريدنج East Riding في مقاطعة في مقاطعة يورك York تولى عدة مناصب منها أستاذ العلوم اللاهوتية في أوكسفورد في عصر الملك هنري الثاني (١١٥٤ - ١١٨٩ م) . تؤكد كتاباته عن أحداث عام ١١٤٠م وما بعدها انه كان شاهد عيان لها . بدأ كتابة تاريخه على الأرجح عم ١١٨٩م عقب وفاة هنري الثاني . يعاب عليه الخط بين الأحداث وتمسكه بالخرافات وإيمانه الشديد بالجن والارواح الشريرة . تناول الجزء الأول من تاريخه والذي اعتمدنا عليه ، أحداث السنوات الممتدة من عام ٧٣٢م حتى عام ١١٨٠م (الجزء الثاني يبدأ بأحداث عام ١١٨١م حتى عام ١٢٠١م) . يتضمن تاريخه تاريخ إنجلترا الأنجلوساكسونية ، فضلا عن العديد من الرسائل الهامة المتبادلة فيما بين رجال الكنيسة وغيرهم من العلمانيين الأنجليز وبين أقرانهم في الأرض المقدسة . وللأسف لا نعرف عن

تاريخ حياته الكثير وللمزيد انظر :

Roger de Hoveden, The Annals, Comprising the History, of England and other Countries of Europe from A. D. 32 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry Riley, Vol. I, (A. D. 732 - A. D. 1180), London 1853, pp. IV - VII.

(٢٨) من المؤرخين الأنجليز المشهورين ، له فضل حفظ حوليات نورثمبريا Northumbria من الضياع بالإشارة إليها في كتاباته . ولد عام

=

E. H. D. وما يعاب على سيمون أوف دورهام اهمال العديد من الاحداث الهامة على امتداد عصر أوف ، واهتمامه الشديد بإبراز عظمة شارلمان وغيره من كبار رجال الكنيسة الرومانية ، ولعل السبب يعزى في أنه مثل كافة المؤرخين فعل ذلك عن عمد لتنفيذا لأوامر البابوية الحاكمة على أوفًا ، والكارهة له كراستها للموت •

كذلك افادتنا كتابات المؤرخ الراهب الويلزي آسر Asser (٢٩) • كاتب سيرة الفريد العظيم التي نشرت تحت عنوان : Asser's «Life of Alfred» ed. W. H. Stevensen, Oxford, 1904.

١٠٦٠م • ومات على الأرجح عام ١١٣٩م • اعتمدنا على الجزء الاول من كتابه (صدر تاريخه في جزأين) ويشمل أحداث السنوات الممتدة من عام ٧٣٢م حتى عام ١٠٤٢م • لذا ، فالجزء الاخير من كتابه (أحداث السنوات الثلاث الاخيرة على الأرجح) قد نسب اليه خطأ • احتوى كتابه العديد من الروايات الهامة التي نقلها عن أصول ضاعت كما أسلفنا ، كما ثبت باليقين نقله من كل من بيد Bede واسر Asser • كاتب سيرة الفريد العظيم حتى أحداث عام ٨٨٧م أما أحداث ما بعد تلك السنة ، فلقد كتبها هو بنفسه • جدير بالذكر اننا اعتمدنا على ما نشر من تلك الحوليات في الجزء الاول من مجموعة « الوثائق التاريخية الانجليزية انظر : E. H. D., Vol. I, pp. 263 - 280.

في هذا الصدد ، وللمزيد عن سيرة سيمون أوف دورهام انظر : E. H. D., Vol. I, pp. 127, 263; D. U., p. 1797.

(٢٩) استعنا أيضا بما نشر في « الوثائق التاريخية الانجليزية » عن سيرة الملك الفريد تحت عنوان :
=

وتعزى أهمية كتاب آسر الى أنه المصدر الوحيد الذى أكد بناء أوفًا
لأعظم عمل انشائى أقيم فى أوربا العصور الوسطى ، وأعنى بذلك
« سور أوفًا » العظيم ذى الخندق المشهور باسم *Offa's Dyke*
والذى أنشأه على حدوده مع ويلز *Wales* البريطانية
وأثبتنا أن بناءه تم من أجل تعويق عبور أعوان البسابوية الى
بلاد الانجليز ، للدعاية المعرضة ضد أوفًا واثارة النفوس للثورة
عليه، بسبب ما قام به من أعمال «مضادة للعقيدة المسيحية والكنيسة»،
بعد مناقشة موضوعية علمية لكافة الآراء التى قيلت فى تبرير اسباب
بناء السور ، فضلا عن أن بناءه يعد دليلا قويا على عظم ثروة بلاده،

=
from «Asser's life of King Alfred» cf. E. H. D., Vol. I, pp. 289 - 303.

وجدير بالذكر ان آسر كان بريطانيا من سكان ويلز ، ويرجع
انه ولد عام ٨٥٠م ، ومات ٩١٠م • للاسف لا نعرف عن تاريخه
الكثير • ولقد ذكر الملك الفريد أنه كان من المقربين اليه ، ولقد عمل آسر
فى وظيفة أسقف مدينة شيربورن *Sherborne* • احتسوى
كتاباه على العديد من الاخطاء فضلا عن استطراده فى الكتابة والاطفاب
مما أدى الى ضياع المعنى وغموضه • يرجح كتابته سيرة الفريدي
عام ٨٩٣م ولقد احتوى معلومات قيمة عن انجلترا الانجلوساكسونية
بعامة وعصر الملك الفريد بصفة خاصة • ويهى بعض المؤرخين
أن آسر استعان بكتابات اينهارد عن حياة شارلمان ، فضلا عن نقله
من الحوليات الانجلوساكسونية • وللمزيد انظر :

E. H. D., Vol. I, pp. 129 - 130; D. U., p. 129.

ومدى ما تمتع به أوفاً من مكانة وحب فى نفوس الانجليز ، وبالمثل كان لقوانين ألفريد أثرها فى تأكيد ما وصلنا اليه عن عظمة الملك أوفاً من جانب ، واهتمامه بكفالة الأمن والأمان للتجار على اختلاف جنسياتهم فى ربوع انجلترا ضماناً لسيولة ونشاط التجارة ، ومن ثم ضمان المزيد من الرسوم المتحصلة من السلع والبضائع القادمة الى البلاد . وللأسف ضاعت تلك القوانين مثل غيرها من وثائق عصر أوفاً ولولا اشادة ألفريد فى مقدمته بقوانين أوفاً واعترافه باستعانتها بها فى اعداد تشريعاته ، ما عرفنا عنها شيئاً البتة (٢٠) .

كذلك أمدنا مصدر آخر برواية هامة أكدت ما وصلنا اليه بشأن الصراع الذى نشب بين أوفاً وشارلمان ، وقرار الأخير بمنع التجار الانجليز من التجارة فى موانئ ومدن بلاده من جهة، وكرهيته الشديدة لأوفاً وتخطيطه مع البابوية للتخلص منه بسبب اعتناقه الاسلام من جهة اخرى . ولقد استعنت بما نشر فى هذا الصدد تحت عنوان « *Acts of the Abbots of Fontenelle* » (St. Wandrille) (٢١) .

(٣٠) عن تلك القوانين انظر E. H. D., Vol. I, pp. 407 - 416

(٣١) وردت تلك الرواية فى الحولية المذكورة عاليه ، ولقد كتبها عدد من رؤساء أساقفة دير فونتني أو دير القديس فاندري (St. Wandrille) ولقد عرف الدير باسم صاحبه الذى بناه ، وكان من طبقة النبلاء ، ولقد ولد فى مدينة فردان Verdan بفرنسا عام ٦٢٩م ومات عام ٦٦٦م . ولقد نشرت تلك الحولية كاملة بواسطة ف. لوهير ، و ج

هذا ، واذا كنا قد تناولنا بالتحليل والدراسة مصادر المؤرخين المعاصرين وشهود العيان للفترة الزمنية موضوع البحث وغيرهم من المؤرخين المتأخرين زمنيا * يجب الاشارة هاهنا الى بعض الأصول السابقة لعصر الملك أوفا ، التي كانت لها أهميتها فى كشف ظروف قدوم الغزاة الانجلوساكسون ونجاحهم فى السيطرة على بريطانيا واقامتهم مما لحكم السبع المشهورة باسم الهبتاركى ، وبالتالي كشفت لنا ظروف تربع الملك أوفًا على عرش مرسيا 'MERCIA'، وحيث انطلق بعدها ليحقق أسمى آماله بتوحيد الأمة الانجليزية تحت زعامته ، وما تبع ذلك من أحداث تركت بصماتها على امتداد الفترة الزمنية للبحث (٧٥٧ — ٧٩٦ م) *

ونخص بالذكر من هذه المصادر كتاب « بيد Bede » (٣١) ، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية له التى نشرت تحت عنوان :

= لاپورت F. Lohier & J. Laporte تحت عنوان :
Gesta Sanctorum Patrum Fontenellensis, Societe de L'Histoire de
Normandie (Rouen & Paris, 1963), cf. E. H. D., Vol. I, p. 341 cf.
Also: D. U., p. 675; p. E. P., p. 78.

(٣٢) ولد « بيد Bede » ، أو « بيددا Beada » ، عام ٦٧٣م فى مدينة ويرموث Wearmouth بكونتية دورهام Durham بإنجلترا ، وتقع على نهروير Wear على بعد أربعة عشر كيلومترا جنوبى نيوكاسل Newcastle . أرسله والده وهو فى السابعة من عمره الى بنديكت رئيس الرهبان لتربيته وتعليمه ، وفى عام ٦٨٢م انتقل بيد الى دير القديس بول St. Paul فى جارو Jarrow حيث أشرف على تعليمه كيولفريد Ceolfred

=

«A History of the English church and people» ولقد أمدنا المصدر بمعلومات قيمة للغاية عن أحوال قدوم الغزاة الانجلوساكسون ، وأسباب وظروف قدومهم والفتائج التي ترقبت عليه ، والتي كان من المحتم علينا الاستعانة بأهم خطوطها العريضة كمدخل طبيعي للموضوع ، انطلقنا عبره الى عصر أوفثا موضوع البحث الرئيسي .

وتأتى بعد « بيد » فى الأهمية كتابات المؤرخ جوفري أوف مونموث Geoffrey of Monmouth ، ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية تحت عنوان : « تاريخ ملوك بريطانيا The History of the Kings of Britain » ، ويتضمن المصدر معلومات قيمة عن أحوال ما قبل عصر أوفثا ، أمادتنا مثل كتابات بيد فى تفهم أحوال

كبير الاساقفة ، وظل هناك حتى وفاته عام ٨٣٥م . تدرج بيد فى الوظائف الكنسية حتى مرتبة القس ، ولنبوغه كان يعفى من شرط السن عند الترقى للوظيفة الاعلى . هذا ، وفى عام ١٠٢٠م نقلت رفاته الى كنيسة دورهام الرئيسية حيث دفن بجوار القديس جوثبرت St. Guthbert وللمزيد انظر :

Bede, A History of the English Church and people, trans, with an introduction by Shereley leo Price, London, 1968, pp. 15 - 21; E.H. D., Vol. I, pp. 639 - 40; cf. also: P. E. P., p. 231; D. U., p.2037;

جدير بالذكر أننا اعتمدنا أيضا على طبعة دورثى وايتلوك انظر . Bede's «Ecclesiastical History of the English Nation», cf. E. H. D., Vol. I, pp. 639 - 747.

الأنجلوساكسون وظروف قدومهم الى بريطانيا ونتائجه • الا ان المؤرخ يعاب عليه كراهيته الشديدة للأنجلوساكسون وتعصبه الأعمى للبريطانيين ، فضلا عن تعمده عدم الاشارة من قريب أو بعيد الى الملك أوفثا كدأب غيره من المؤرخين (٣٣) • هذا، ولقد أفادتنا أيضا حولية مؤرخ مجهول Anonymous ، نشرت تحت عنوان « تنمة بيد The Continuation of Bede » أو ان صح لى التعبير « ذيل تاريخ بيد » ، حيث حصلنا منها على معلومات طيبة كشفت لنا ظروف تولية

(٣٣) عرف بهذا الاسم نسبة الى مونموث Monmouth في ويلز Wales وتقع عند التقاء رافدى نهر واى Wye ومونو Monnow • تدرج فى السلك الكنسى حتى وظيفة قس فى وستمينستر Westminster ذكر أن هدفه من الكتابة احياء ذكرى وتاريخ ملوك بريطانيا ، وتتبع اصول البريطانيين على امتداد الف وتسعمائة سنة تقريبا • بدأ تاريخه بالاشارة الى البطل الاسطورى القرطاجنى بروتوس Brutus وظروف قدومه ورفاقه الى جزيرة ألبيون Albion التى عرفت فيما بعد باسم بريطانيا Britain نسبة اليه ، حدث ذلك فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد حسبما ذكر جوفرى فى روليته • ولقد أنهى كتاباته بسرد تاريخ آخر ملوك بريطانيا كامويلادر Cadwallader (ت • عام ٦٨٩م) ، وأسباب اجتياح الغزاة الانجلوساكسون بريطانيا ونتائجه • فى هذا الصدد وللمزيد انظر :

Geoffrey of Monmouth, The History of the Kings of Britain, trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978, pp. 9 - 35.

أوفتًا عرش مرسيا عقب مصرع ابن عمه ايزلبالد عام ٧٥٧م (٣٠) .
ومن الاهمية بمكان الاشارة هاهنا الى أننا لم نجد فى المصادر
الاسلامية ما يشير من قريب أو بعيد الى موضوع البحث . لكننا
رجعنا الى كتابى « نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، والترغيب
والترهيب « لكل من النويرى (٣٠) (ت ٨٣٢ / ١٣٣٢م) والمنذرى
(ت ٦٥٦ / ١٢٥٨م) (٣١) على التوالى ، ولقد أكدنا الرأى الذى
وصلنا اليه ، والخاص بوصول فكرة اعتناق الاسلام الى مسامع الملك
أوفا عن طريق أى من مبعوثى الخلافة العباسية الذين قدموا لعقد
الاتفاقيات التجارية معه ، أو عن طريق التجار المسلمين الذين أكدنا
كثافة تواجدهم فى انجلترا فى تلك الاونة وذلك ترسما لخطى جعفر

(٣٤) تشمل الحولية أحداث انجلترا من عام ٧٣٥م حتى ٧٦١م . وبإضافتها
الى حولية سيمون أوف دورهام (٧٣٢ - ١٠٤٢م) فانهما يكونان
معا أهم مصادر القرن الثامن الميلادى فى انجلترا : انظر :
E. H. D., Vol. I, pp. 285 - 86.

(٣٥) النويرى الكندى (ت ٨٣٢ / ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد
بن عبد الوهاب : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وزارة الثقافة
والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، الجزء الثامن عشر ،
القاهرة ١٩٥٤م .

(٣٦) المنذرى (ت ٦٥٦ / ١٢٥٨م) ذكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى :
« الترغيب والترهيب » اصدار مكتبة الدعوة الاسلامية وشباب
الازهر ، ج ٢ ، القاهرة (بدون تاريخ) .

ابن أبى طالب رضى الله عنه ، الذى نجح فى اقناع النجاشى ملك الحبشة باعتناق الاسلام من جهة، وتشبها بدور التجار الدعاة والمبعوثين المسلمين فى نشر الاسلام فى جزر وبلاد جنوبى شرق آسيا ، وشرق وغرب ووسط افريقيا من جهة أخرى • ولا شك فى صحة ذلك الرأى ، اذ أن الاسلام رسالة عالمية بدليل قوله تعالى لرسوله الكريم « قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض، لا اله الا هو يحيى ويميت، فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (الاعراف: ١٥٨) •

هذا عن أهم المراجع من المصادر الأصلية المعاصرة للفترة الزمنية موضوع البحث والسابقة عليها والمتأخرة عنها زمنيا • أما عن المراجع الثانوية فهى بدورها تنقسم الى قسمين ، أجنبية وعربية • ولا شك أنها قد احتوت العديد من الافكار والاراء التى أفادتنا فى بعض جوانب البحث • ولقد اتفقنا مع بعض ما جاء بها من آراء ، وخالفناها فى كثير من الاحيان ، مدعين وجهة نظرنا بما حصلنا عليه من حجج وأسافيد اعتصرناها من المنابع والاصول • كما أضفنا العديد من المعلومات الجديدة اعتمادا على ما من به الله تعالى علينا من معلومات استقينها من الموثيق والمصادر التى حصلنا عليها من الخارج •

هذه دراسة تحليلية نقدية لاهم مصادر البحث ومنابعه ، والتى حصلنا منها على مادة البحث ، وجدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن كافة المصادر والمراجع وغيرها من دوائر المعارف والمعاجم العالمية

المتخصصة ، لم تشر من قريب أو بعيد الى مفهوم ودلالات عبارة التوحيد الاسلامية المنقوشة على دينار أوفًا الذهبى ، ناهيك عن ضياع كافة وثائق عصره ولا شك فى ان هذا يعزى فى المقام الاول والاخير الى اوامر البابوية والكنيسة لطمس معالم تاريخه الحقيقية ، بسبب اعتناقه الاسلام ، وحتى لا يظهر من يحتذى حذوه فى هذا الصدد ، ولعل ذلك يفسر سبب التخلص من أوفًا بعد وفاته بدفنه فى مكان مجهول داخل مبنى متواضع لا يليق بمكانته كواحد من اعظم الملوك فى اوربا العصور الوسطى على وجه الاطلاق • والحمد لله من قبل ومن بعد •

يسـ

« ولكل أمة أجل ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ، ولا يستقدمون »

(الاعراف : ٣٤)

الفصل الأول

— ٥٧ —

أوفّا وتوحيد ممالك الأنجلوساكسون

٧٥٧ — ٧٩٦م

- أحوال بريطانيا قبيل عصر أوفّا ، وظروف توليته عرش مرسيا عام ٧٥٧م •
- حروب أوفّا وجهوده الدبلوماسية لتوحيد ممالك الأنجلوساكسون ، ونتائجها •
- بعثة البابا أدريان الاول الى انجلترا عام ٧٨٦م ، أسبابها ونتائجها •
- مصرع ايثلبرهت ملك ايسن أنجليا ، وذبحه على يد أوفّا عام ٧٩٤م ، دلالاته ونتائجها •
- ردود فعل البابوية وشارلمان المضادة لسياسة أوفّا • أسبابها ونتائجها •

بأدى ذى بدء ، ولكى نتفهم حقيقة عصر الملك أوفّا وأهم أعماله التى قام بها أجل توحيد ممالك الأنجلوساكسون ورفعمة شأنها ، وما هيّتها وخصائصها ، فضلا عن نتائجها القريبة والبعيدة ، ينبغى الإشارة باختصار الى أسباب قدوم الغزاة البرابرة الأنجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية ، وما تلا قدومهم من أحداث أدت الى انتزائهم بالبلاد واقامة ممالكهم بها ، وذلك كمدخل طبيعى لتفهم ظروف تولية الملك أوفّا عرش مرسيا ، وما ترتب على ذلك من انطلاقه عبرها للهيمنة على كافة الممالك الانجلوساكسونية ، وتوحيدها لأول مرة فى التاريخ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى، كشف ماواكب تلك الانطلاقة من أحداث تمخضت عنها نتائج هامة مست الموضوع مسا مباشرا وأثرت على مجريات الامور على امتداد البحث .

إذا عدنا قليلا الى الوراء ، لنلقى نظرة عامة على مسرح الأحداث ، نجد أن بريطانيا على امتداد الفترة الزمنية الممتدة من منتصف القرن الرابع الميلادى حتى منتصف القرن السادس الميلادى، قد تعرضت لأول دفعة من الغزاة الجرمان ، الذين اصطالح المؤرخون على تعريفهم باسم الانجلوساكسون **Anglo-Saxons** أو الساكسون **Saxons** ، وهم عبارة عن خليط تكون من ثلاث مجموعات بشرية رئيسية اندمجت معا تحت أى من التسميتين السابقتين ، وهى :

الساكسون **Saxons** ، والانجلز **Angles** ، والجوت **Jutes** وكانت تلك الجماعات بعد اندماجها معا قد غزت الجزيرة البريطانية

دون مقاومة تذكر من البريطانيين (أى البريتونيين Britons) سكان الجزيرة الاصليين ، والذين بعد أن فشلوا فى مواجهة هؤلاء الغزاة وهزموا على أيديهم مرارا ، هربوا انقاذا لحياتهم الى قمم الجبال والغابات الكثيفة ، ثم اتجهوا أخيرا الى ناحية الغرب حيث استقروا فى ويلز Wales التى اتخذوها مستقرا لهم ومقاما (١) .

(١) قدم الغزاة الانجلوساكسون من حول مناطق بحر الشمال : جوتلاند Jutland وبلاد الدانمرك ، والمنطقة الممتدة جنوبها بعامه ، وألمانيا بصفة خاصة . ولقد أشارت الحوليات لتعرض بريطانيا الى غزوات جماعتى البكتيين Picts ، والسكوتلانديين Scots والجماعتان من سكان كالدونيا القديمة Caldonia (سكوتلاند) وهم الايرلنديون والسكوتلانديون . حدث ذلك فى أواخر النصف الاول للقرن الخامس الميلادى عقب انسحاب الرومان من بريطانيا (٤٤٢م تقريبا) . ولقد استدعى الطاغية فورتيجرن Vortigern ملك بريطانيا (٤٤٥ - ٤٨٥ تقريبا) البرابرة الساكسون لمساعدته ضد الغزاة البكتيين والسكوتلانديين الذين اكتسحوا البلاد من الغرب والشمال ، وبالفعل قدم الساكسون وخلصوا بريطانيا من أخطار الغزاة ، وكان جزاؤهم العديد من المنح والعطايا فى شكل أرض وعقارات . وسرعان ما تحول الحلفاء الى أعداء ، واجتاح الساكسون الجزيرة ، وهزموا البريطانيين الذين استقروا أخيرا فى ويلز غربا كما أسلفنا عاليه . ومنذ ذلك الحين فصاعدا عرفت بريطانيا باسم انجلترا نسبة الى الانجلز (أو الانجليز) Angles . هذا ، ويجدير بالذكر أننا نعنى بلفظتى (الانجليز)

هذا ، وبعد صراع مرير نشب فيما بين زعماء هؤلاء الغزاة
 استقلت كل جماعة منهم مكونة مملكة خاصة بها ، ومن ثم تكونت
 سبع ممالك رئيسية ، عرفت باسم الممالك السبع أو الهيثتاركي
 Hiptarchy ، وهي : ويسكس Wessex ، وسسكس Sussex
 واسكس Essex وايسيت أنجليا (أنجليا الشرقية) East: Anglia

=

و « انجلترا » على امتداد البحث ، عبارتي (جماعات الانجلوساكسون)
 (وبريطانيا) بعد قدوم الانجلوساكسون على التوالي ، حيث درج
 المؤرخون على استخدامهما بنفس المعنيين بعد قدوم البرابرة
 الجرمان الانجلوساكسون الى الجزيرة البريطانية في هذا الصدد
 وللمزيد أنظر :

Bede, The History of the English Church & People, trans. by Leo
 Sherley, London 1968, pp. 34, 38f., 51 - 58, 92 f., 108; Bede, Eccle-
 siastical History of the English Nations», cf. E. H. D., Vol. I, p.
 645 f.; Geoffrey of Monmouth, The History of the Kings of Britain,
 pp. 54, 123 - 128, 144 - 147, 155 - 166, 186 - 204, 209 ff.; Roger of
 Wendover, Op. Cit., Vol. I, p. 53. cf. also: Stenton, Sir F., Anglo -
 Saxon England, 3ed., London 1984, p. 1 ff.; Fisher, H. A. L., A
 History of Europe, London 1937, p. 122ff.; D. U., pp. 81, 849 f.,
 881, 9736, 2028; p. E. p., pp. 136, 375; cf. also.

سعداوى : المرجع السابق ، ص ٢٧ - ٣٣ ، راوس (٠١) .
 التاريخ الانجليزي ، نقله الى العربية د. محمد مصطفى زيادة ،
 القاهرة ١٩٤٦ ، ص ١٥ - ٢٧ ، محمد مرسى الشيخ : الممالك
 الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص
 ٢٢٠ - ٢٢٥ ، ديفز (٠٥) : أوروبا في العصور الوسطى ،
 ترجمة د. عبد الحميد حمدي محمود ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٣٢ .

ومرسيا Mercia ، ونورثمبريا Northumbria ، وكنت (٢) Kent . ولقد آلت الزعامة على تلك الممالك فى بداية الامر الى كنت Kent ، ثم انتقلت الى نورثمبريا Northumbria وأخيرا هيمنت مرسيا Mercia ، على الامور ، ودان لها الجميع بالولاء والطاعة . وفى عهد أعظم ملوكها أوفيا Offa (٧٥٧ — ٧٩٦ م) سيطرت مملكة مرسيا على كافة انجلترا المعروفة اليوم ، فاستحق أوفيا بجدارة لقبى « ملك انجلترا Rex Anglorum » و « ملك كل بلاد الانجليز Rex totius Anglorum Patriae » فضلا عن لقب « ملك مرسيا العظيم » (٣).

(٢) اختص الساكسون بالممالك الثلاث الاولى ، وكلها فى الجنوب تقريبا . أما الثلاث التالية فقد كانت من نصيب الانجلز ، وتقع نورثمبريا فى الشمال ، ومرسيا فى الوسط ، وانجلترا الشرقية فى الشرق . أما الجوت فقد استقلوا بالمملكة الاخيرة وهى فى الجنوب أيضا . وجدير بالذكر أن الساكسون قد حكموا ممالكهم طبقا لحق الانتساب للآلهة الجرمانية الوثنية بعامه ، والى الآله ودين Woden اله الحرب والملاحم بصفة خاصة . انظر

cf. Bede, op. cit., p. 56; E. H. D., pp. 10 - 22; D. U. p. 865; Sh Camb, Med. Hist., vol. 1, p. 168 ff.; Fisher, op. cit., pp. 123, 177; p. E. P., pp. 223, 250, 338, 534, 707, 800; cf. also:

راوس : السابق ، ص ٢١ ، سعداوى : السابق ، ص ٣٧ — ٤٥
ديفز : السابق ، ص ٣٢ .

Cart. Sax., Nos. 208, 213 - 214.

(٣)

ومن الاهمية بمكان الاشارة الى أن مملكة مرسيا (٤)، على امتداد
الثلثة أرباع الاولى للقرن السابع الميلادى كانت مجرد دويلة
لاحول لها ولاقوة ، مندرجة فى الاتحاد الكونفيدرالى الذى يضم
الممالك الانجليزية الواقعة جنوبى نهر الهمبر Humber تحت زعامة
ايزلبرت Eathelbert ملك كنت (ت ٦١٦ م) . والثابت أن ملوك
مرسيا السبعة الاول لم يستكينوا وظلوا يخططون لتدعيم استقلال
مرسيا والنهوض بها ، بتنشيط التجارة وتشجيع الزراعة والصناعة ،
مستغلين موقع مرسيا التجارى الهام ، لكونه مركز اتصالات له
أهمية فى وسط انجلترا . لقد تم ذلك بداء بعصر الملك بندا Penda
(٦٣٢ — ٦٥٤) ، ومرورا بعصور كل من الملوك : بيدا Peada
(٦٥٤ — ٦٥٦ م) ، وولفهير Wulfhere (٦٥٧ — ٦٧٤ م) ،
وايزلريد Ethelred (٦٧٤ — ٧٠٤ م) ، وكوينرد Coenred (٧٠٤

=

Letter of Charles the Great to Offa King of Mercia (796), cf. E. H. D., Doc. No. 197, p. 848f.; cf. also: Brondsted, J., The Vikings, London 1975, p. 16f.; Ch. E., vol. X, p. 194.

(٤) يقال ان اسم مرسيا « Mercia » مشتق من الاسم القبلى Mierce أو هو تحريف له ، ومعناه شعب أو سكان الحدود . وتذكر الروايات أن سكان مرسيا فى القرن السابع وحتى نهاية النصف الاول من القرن الثامن الميلادى كان يقدر عددهم بحوالى اثنى عشر ألف أسرة : تعيش سبعة الاف أسرة منهم فى المنطقة الممتدة شمال نهر الترنت The Trent أما الاسر الاخرى فكانت تعيش جنوبى النهر نفسه . هذا ومرسيا اليوم تمثلها تقريبا المقاطعات والمناطق الاتية :

=

— ٧٠٩م) ، وكيولرد Ceolred (٧١٦ — ٧٠٩) ، وانتهاء بعصر
الملك ايزلبالد Eathelbald (٧١٦ — ٧٥٧) ، (٥) .

ستافوردشاير Staffordshire ، ودربى شاير Derbyshire
نوتنجهام شاير Nottinghamshire ، والمنطقة الواقعة شمال كل من
مقاطعتى ورويك شاير Warwickshire ، وليستشرشاير Leicestershire
انظر :

Bede, op. cit., p. 185; also: Stenton, op. cit., pp. 38 - 42; Hart, C.,
The Kingdom of Mercia, cf., Mercian Studies, ed. Dornier, Leice-
ster, 1977, pp. 47, 49; Sh Camb, Med. Hist., vol. I., p. 179; p. E. p.,
p. 482; E. B., vol. VI, p. 800.

(٥) يعتبر بندا (٦٣٢م — ٦٥٤م) المؤسس الحقيقى لملكة مرسيا ،
ولقد اُشادت ببطولته قصص البطولة الجرمانية Germanic Saga
وأبرزت استبساله فى الدفاع عن مرسيا حتى الموت عام ٦٥٤م .
وبموته خلفه ولده « بيدا » الذى اغتيل بتدبير من زوجته عام
٦٥٦م ، وخلفه على العرش شقيقه « ولفهير » لمدة سبع عشرة
سنة ، ثم شقيقه « ايزلريد » الذى اعتزل العرش بعد حكم استمر
ثلاثين سنة ، تفرغ بعدها للعبادة فى دير ليندسى Lendsey
وتولى بعده « كوينرد » ابن أخيه « ولفهير » الذى اعتزل بدوره
العرش عام ٧٠٩م ، فخلفه « كيولريد » أحد أبناء ايزلريد المذكور
آنفا ، وكان شابا فاسقا خميرا ، وبموته انقطعت سلالة أسرة بندا
مؤسس المملكة . ولقد خلفه على العرش « ايزلبالد » حفيد المدعو «
ايوا Eawe شقيق بندا ، وكان ايزلبالد يعيش فى المنفى ، ثم
عاد عقب موت كيولريد وتولى الحكم . هذا وبعد جهود وحروب
شرسة بينه وبين مملكتى وسكس وكنت ، اخضع ايزلبالد الملكتين

هذا ، ويعتبر الملك ايزلبالد واضع اللبنة الاولى فى صرح
وحدة الأنجلوساكسون أو الأمة الانجليزية - ان جاز لى التعبير
تحت سيادة مرسيا ، فعلى امتداد عصره الطويل نسبيا (٤١ سنة)
خاض حروبا طاحنة فى هذا السبيل ، وكانت المحصلة أن دبرت
مؤامرة أودت بحياته غدرا عام ٧٥٧ م . بعد أن كان قد نجح فى
ضم كل من مملكتى وسكس وكنت ، فضلا عن الاراضى الواقعة
فيما بين نهر الهمبر والقنال الانجليزى فى اتحاد كونفيدرالى مع
مرسيا برئاسته ، واعترف به ملوكها برتوالدا Bertwalda أى حاكما

=

وضمهما فى اتحاد كونفيدرالى بالاضافة الى غيرهما من الاراضى
تحت زعامته منتهزا فرصة موت ملك كنت ويهتريد
(٧٢٥ م) ، وتنازل ملك وسكس اين Ine عن العرش (٧٢٦ م) .
واضعا بذلك النواة الاولى لوحدة الامة الانجليزية التى أتمها أوا
من بعده كما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد . انظر

Bede, op. cit., pp. 158, 176, 177, 185 201, 207f., 212, 226., 243:
248, 305, 312, 334f.; Bede, op. cit., cf. E. H. D., Vol. I, pp. 690 -
95, 705f.; The Laud Chronicle, cf. The Anglo-Saxon Chronicle,
trans. & ed. by G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The
Parker Chronicle, cf. The Anglo-Saxon Chronicle, trans. & ed. by
G. N. Garmonsway, London 1977, p. 40; The Anglo-Saxon chroni-
cle, cf. E. H. D, vol. I, p. 176 f. & the notes; cf. also: Stenton, op.
cit. pp. 203, 230; Wilson, D. The Anglo-Saxon, London 1972, pp.
30 - 31.

لأنجلترا (٦) . وهكذا مهد ايزلبالد الطريق أمام ابن عمه وخليفته الملك أوفًا لاتمام بناء صرح وحدة الامة الانجليزية ، ولقد نجح في هذا الصدد أيّما نجاح ، كما سنوضحه بالتفصيل في حينه .

(٦) اغتيل ايزلبالد بواسطه احد حراسه الخصوصيين اثناء نومه ليلا في مدينة سيكنجتون Sekington بالقرب من تامورث Tamworth ودفن في ريبتون . ولقد اختلفت الآراء حول أسباب مصرعه ، فالؤرخ ستنتون Stenton يعزى موته الى بطشه وجبروته ، مما اغضب المحيطين به ، وقرروا قتله . وهناك رأى آخر نميل الى الاخذ به لاتفاقه والاحداث ، واعنى ماذكره المؤرخ روجر هوفيدن ، ومؤداه أن ملك وسكس المدعو جوثريد Guthred (ت . اواخر عام ٧٥٦م) قد تأمر مع بيورنرد للنخلص من ايزلبالد مقابل عرش مرسيا فقام الاخير بقطع رأس ايزلبالد وقتولى العرش بالفعل . فكان أن نشبت الحرب الاهلية ، واعتلى أوفًا العرش بعد فرار بيورنرد خارج البلاد . في هذا الصدد ، وللمزيد انظر :

The Parker Chronicle, pp. 46 - 47; N. 5; The Laud Chronicle, pp., 49 - 59; Roger de Hoveden, The Annales, The History of England and other Countries in Europe, from A. D. 732 to A. D. 201, Trans. from the Latin with notes & Illustrations by Henry T. Riley, London 1885, vol, I, pp. 2 - 5 & n. 20, p. 5f.; Simeon of Durham, «Historia Regum» (History of the Kings), cf. E. H. D., vol. I, p. 266; Anonymous, The Continuation of Bede, cf. E. H. D., vol. I, p. 286 & n. 2;

The Anglo-Saxon Chronicle, cf, E. H. D., vol. p. 176f., & The notes; cf. also. Stenton, op. cit., p. 204f.; Wilson, op. cit., p. 30 f.; Sh. Camb, Med. Hist ., vol. I, p. 179 l.

مهما يكن من أمر ، فعقب مصرع ايزلبالد تفككت، عرى روابط
الاتحاد الكونفيدرالى الآنف الذكر ، واغتصب بيورنرد
Beornard المجهول النسب العرش * لذا ، ولعدم نجاحه فى تأكيد
صحته نسبته الملكى الى الاله الجرمانى ودون Woden حسبما هو
متبع عند تولية الملوك الانجلوساكسون العرش طبقا للعرف السائد
عندهم ، ثار المرسيون Mercians ضد بيورنرد بزعامه أوفيا ،
وأستعرت نيران الحرب الاهلية فى مرسيا ، وكانت المحصلة انتصار
أوفيا وفرار بيورنرد ، وترجع الأول على عرش الملكة قبل نهاية
عام ٧٥٧ (٧) ، واضعا بذلك الخطوط الاولى لبداية تاريخ عظمة
ونهضة انجلترا ، ليس فى العصور الوسطى فحسب ، بل وعلى
امتداد عصر النهضة وبداية العصر الحديث أيضا *

هذا ، وبعد تولية أوفيا أمور مرسيا كما أسلفنا ، وعلى امتداد
السنوات السبع التى تلت توليته العرش (٧٥٧ - ٧٦٤م) سعى
أوفيا جاهدا لرأب الصدع الذى أصاب وحدة شعب مرسيا ، والذى
تمخض عن الحرب الاهلية التى نشبت عقب مصرع ايزلبالد *
ولقد استعد الملك أوفيا بعد ذلك عسكريا من أجل إخضاع باقى الممالك
وتوحيدها تحت سلطان مرسيا ، بادئا أولى خطوات سياسته التوسعية

(٧) The Laud Chronicle, p. 49.; The Parker Chronicle, pp. 46,
50; cf. also: Stenton, op. cit., p. 203 cf. also: Note N. 6 the above
mentioned before.

تلك بغزو مملكة كنت عقابا لها على خروجها عن سلطان مرسيا ،
 منتهزة فرصة نشوب الحرب الاهلية التى عمت مرسيا عقب مصرع
 ايزلبالد كما أوضحنا من قبل •

مهما يكن من أمر ، فلقد أنشأت المصادر الى أن أوفّا بعد أن
 نظم قواته العسكرية وحشدتها ، خرج بجده وحديده ، فهاجم كنت
 Kent واعادها الى سلطانه داخل اتحاده الكونفيدرالى الجديد
 عام ٧٦٤م • فهناك وثيقة تؤكد ظهور الملك أوفّا فى كانتربيورى
 Canterbury عاصمة كنت فى النصف الثانى من عام ٧٦٤م بصحبة
 كل من هيبهرت Heahberhet ملك كنت ، ورئيس اساقفتها ، حيث
 أصدر أوامره بمنح اقطاعية الى أسقف فريندزبيورى Frindsbury
 وكانت تلك الاقطاعية ذاتها قد منحها ملك كنت من قبل الى أسقف
 روتشيستر Rochester عام ٧٦٢م ، وقد أشارت الوثائق مرة ثانية
 الى منح أوفّا نفس القطعة الى أسقف فريندزبيورى الآنف الذكر
 فى بداية عام ٧٦٤م (١) ، مما يؤكد خضوع كنت لسلطان أوفّا
 المباشر قبل نهاية عام ٧٦٤م ، وظلت هكذا حتى نهاية عام ٧٧٤م •
 ففى تلك السنة ثار الكنتيون ضد مرسيا ، وانتصروا على أوفّا وظلوا
 أحرارا حتى عام ٧٨٤م ، حيث استطاع أوفّا أن يستعيد هيمنته
 على كنت وحكمها بقبضة من حديد حتى نهاية عصره عام ٧٩٦م •
 يؤيد ذلك الرأى ما أنشأت اليه الوثائق الساكسونية من منح أو

قطعة من الارض الى رئيس أساقفة كانتربوري فى نهاية عام ٧٧٤م دون أن تذكر اسم حاكم كنت ألبته (٩) ، مما يؤكد خضوع مملكة كنت لسلطان مرسيا المبائر فى تلك الاونة . ويبدو أن كبار الزعماء الكنتيين قد ألتهم تلك السيطرة ، فخططوا للثورة ضد أوفيا والانسلاخ عن سلطان مرسيا ، فكانوا أن حشدوا قواتهم وهاجموا أوفيا فى نهاية نفس العام (٧٧٤م) ، يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر عن نشوب قتال شرس فيما بين جيوش الطرفين فى موقعة أوتفورد Otford عام ٧٧٤م (١٠) . والملاحظ عدم اشارة أى من المصادر على وجه الاطلاق الى نتيجة تلك المعركة من قريب أو بعيد ، فى حين أن البعض اعتبرها نصرا حاسما للملك أوفيا (١١)، بينها صمت الآخرون دون تعليق يذكر على نتائجها .

(٩) Cart. Sax., Nos. 213, 214 cf. also: Stenton, op. cit., p. 207.

(١٠) The Anglo-Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 178; The Laud Chronicle, p. 50; Roger of Westminster, vol. I, p. 361; Roger of Wendover, vol. I, p. 152; Roger de Hoveden, Vol. I, p. 25.

(١١) اختلفت الحوليات فى تحديد عام المعركة . فهناك أربع حوليات حددته بعام ٧٧٤م واثنان قالتا بحدوثها عام ٧٧٣م . ويلاحظ أن المؤرخ المشهور ستنتون قد حددها فى عام ٧٧٦م ، وهذا خطأ، علما بأنه لم يشير الى المصدر الذى اعتمد عليه ، ولعله أخذ التاريخ قياسا على حويله باركر The Parker Chronicle التى قالت بحدوث المعركة فى الفترة الممتدة من عام ٧٧٣ حتى عام ٧٧٦م . انظر مصادر الحاشية السابقة (١٠) ، وأيضا انظر :

Stenton, op. cit., p. 207 & N. 5. cf.

هذا ، واذا نظر الباحث المدقق فى وثائق كنت الصادرة فى سنوات ما بعد المعركة ، نجده لا يحتفظ فى قبوله للرأى القائل بانتصار أوفى فحسب ، بل الجزم بهزيمته هزيمه نكراء كانت لها آثارها الهامة على مسار الأحداث فيما بعد . وآية ذلك الرأى ، أن الوثائق لم تنشر بأى حال من الاحوال الى اسم الملك أوفى فى كافة الوثائق التى صدرت فى كنت على امتداد السنوات التالية لمعركة أوتفورد (٧٧٤ — ٧٨٤) كما كان الحال من قبل تلك المعركة . فعلى سبيل المثال صدرت وثيقة فى كنت مؤرخة فى عام ٧٨٤م ، تنفيذ أن المدعو « ألماندوس Ealmandus ملك كنت » قد أصدر أوامره « بمنح قطعة أرض فى مملكته الى أسقف ريكفلر *Reculver* » دون أن تشير الوثيقة من قريب أو بعيد الى الملك أوفى كما كان الحال فى وثائق ما قبل المعركة المذكورة (١٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أشارت الروايات التاريخية الى توتر علاقات أوفى مع كنت عقب هزيمته فى أوتفورد ، وظل الحال هكذا على امتداد تلك السنوات العشر ، التى استغلها أوفى فى إعادة تنظيم صفوفه للثأر من هزيمته السابقة ، مع التحرش بكنت لجراها الى معركة استعد لها تماما . لذا ، ومكرا منه ، وتمهيدا لغزو كنت لاشباع رغبته فى الثأر منها ، أصدر الملك أوفى عدة قرارات تتلخص فى سلب اختصاصات

(١٢) اكتشفت تلك الوثيقة فى القرن الثالث عشر ، ولقد أوردت المراجع اسم ملك كنت بعد ترجمته الى الانجليزية بهذا الشكل Ealhumund cf. Stenton, op. cit., p. 207 and N. 7.

رجال الكنيسة ، وعلى رأسهم رئيس أساقفة كانتربوري الذي جرده من سلطاته تماما • وفى نفس الوقت ، واثارة للبابوية المتحالفة مع كنت ، وتدميرا لسلطان الكنيسة الرومانية فى انجلترا ، أصدر أوبا قرارا بانشاء أسقفية فى لينتشيلد Lichfield ثم فجأة اتخذ عدة قرارات للأسف لم تحدد المصادر أو المراجع كنيته ، ولقد بلغت تلك القرارات « كما رددت الشائعات المتواترة » حدا من الخطورة لدرجة أن البابوية اعتبرت « خطرا ما حقا هدد انجلترا كلها بالخروج من حظيرة المسيحية ، والتحرر من سلطان البابويين » (١٢) المتسلط عليها •

هذا ، ويبدو أن البابا لخطورة القرارات التى أصدرها أوبا قد عقد تحالفا مع ملك كنت ، وحرّضه على مهاجمة مرسيا للتخلص من أوبا ، مذكرا اياه بإمكانية تكرار الانتصار السابق الذى حققته كنت فى عام ٧٧٤م • ولكن الكنتيين فوجئوا بالملك أوبا يعاجلهم بالهجوم بعد أن علم بالخبر بطريقة أو بأخرى ، فهزمهم هزيمة ساحقة كما أشارت الوثائق فى بداية عام ٧٨٥م ، واكتسح بعدها كنت ، ثم أعلن ضمها لأملاكه حيث ظلت تحت سلطانه المباشر حتى

(١٢) من المرجح أن تلك القرارات الخطيرة التى اتخذها أوبا والتى هددت الوجود المسيحى فى انجلترا بالزوال ، تتلخص فى اعتناقه الاسلام ، واصداره ديناره المشهور ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، بجليل ارسال البابا بعثة ٧٨٦م ، التى سوف نشير إليها بالتفصيل فيما بعد انظر :

Stenton, op. cit., pp. 207, 215, 216 & The notes.

وفاته فى عام ٧٩٦م ، وآية ذلك أن كنت قد ظل اسمها يتردد دوما فى كافة الوثائق التى صدرت من الملك أوفى على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٥م حتى وفاته عام ٧٩٦م (١٤) .

وإذا عرجنا على سسكس *Sussex* المجاورة لكنت ، لمناقشة موقف الملك أوفى منها ، ومدى ما بذله من جهود لادخالها فى نطاق اتحاد ممالك الانجلوساكسون الكونفيدرالى بزعامته . نجد هذه المملكة كانت حسبا أشارت المصادر فى حالة يرثى لها ، بسبب تصارع كبار رجالها على العرش ، حيث استقل عدد منهم فيما يسمى بالمقاطعة *Shire* مكونين اقطاعات أو مقاطعات أو دوقيات انتحل أصحابها لقب « ملك » . ولقد ظل هؤلاء الملوك فى صراع دائم فيما بين بعضهم البعض ، طمعا فى الزعامة على كافة المقاطعات الاخرى . فاستغل الملك أوفى الفرصة ، وانقض على تلك المقاطعات وسيطر على سسكس كلية . ومن ثم أخضعها لسلطانه المباشر تاركا الحال على ماهى عليه من الانقسام ، ضمانا لعدم الانفصال عن مرسيا نواة الوحدة الانجليزية الام . وأصدر أوامره بمنح كل حاكم من هؤلاء الملوك لقب الدوق *dux* . هذا ، والثابت أن اخضاع أوفى لمملكة سسكس وجعلها تحت سلطانه المباشر ، قد تم فى نهاية عام ٧٧١م أو بداية عام ٧٧٢م . فلقد أشارت إحدى وثائق

(١٤) عن انتصار أوفى على كنت عام ٧٨٥م ونتائجه انظر :
Cart. Sax., no. 242 cf. also: Stenton, p. 207 & The notes.

الساكسون الجنوبيين *South Saxons* غير المؤرخة الى تصديق الملك أؤفا على صحة تنفيذ قراراتين صادرين من اثنين من هؤلاء الملوك أو الحكام فى سسكس ، بمنح عطيتين الى اثنين من كبار رجالهما • ومن ثم فان هاتين الوثيقتين قد صدرتا قبل سيطرة أؤفا الكاملة على سسكس ، أى فى نهاية عام ٧٧١م أو بداية عام ٧٧٢م كما ذكرنا عليه • يؤكد ذلك الرأى وثيقة أخرى صدرت عام ٧٧٢م ، تفيد اصدار أؤفا قرارا بمنح لقب الدوق *dux* الى جميع الحكام الآنفى الذكر (١٥) ، مما يؤكد سيطرة أؤفا المباشرة على سسكس آنذاك مضيفا بذلك لبنة جديدة فى صرح وحدة الامة الانجليزية الذى ظل طوال حياته يسعى جاهدا لاقامته ، وبعد سسكس اتجه أؤفا بناظره الى مملكه وسكس *Wessex* المجاورة لمملكى كنت وسسكس من ناحية الغرب ، تمهيدا للسيطرة عليها وضماها داخل نطاق اتحاده الكونفيدرالى •

الثابت أن وسكس *Wessex* كانت قوية الشوكة ولها بأسها قبل عصر أؤفا بعدة عقود، ولا توجد وثائق تفيد خضوعها لسلطان أؤفا

(١٥) منح أؤفا لقب الحق لاربعة من قادة الساكسون الجنوبيين فى سسكس ، وتفيد الوثائق أن أحدهم قد منح نفسه فيها بعد لقب ملك *Rex* رغم خضوعه لسلطان أؤفا المباشر •
انظر :

Cart. Sax., nos. 197, 206, 208; *E. H. D.* vol. I, Doc. no.: 96 (*The Comment*). p. 504 cf. also: *Stenton*, op. cit., p. 207 & The notes.

المباشر قبل عام ٧٨٦م • فلقد أشارت المصادر الى أنه عقب مصرع ايزلبالد ملك مرسيا عام ٧٥٧م كما أسلفنا ، قام كينولف *Cynwulf* صاحب وسكس من فوره بالهجوم على المرسيين ، واستعادة معظم أملاك السكسون الغربيين *West Saxons* منتهزا فرصة الحرب الاهلية والفوضى التي عمت مرسيا عقب مصرع ايزلبالد من جهة ، وانشغال أوفا باعادة تنظيم المملكة من الداخل من جهة أخرى • وكان ايزلبالد قد هيمن على وسكس وأدخلها فى نطاق الاتحاد الكونفيدرالى الذى أنشأه بزعامته كما ذكرنا آنفا • ومن ثم جابت شهرة كينولف الافاق ، وتملكه الغرور الى حد أنه تجرأ وهاجم أملاك مرسيا ، واستولى على شريط ضيق من الاراضى التابعة لها شمال نهر التيمس *Thames* • وما أن علم الملك أوفا بالامر ، حتى قام من فوره باعداد جيشه ، وخرج لاستعادة ما استولى عليه كينولف من أراض ، واضعا فى حسبانها للسيطره التامة على وسكس وضمها مباشرة الى أملاكه • وفى بنسينجتون *Bensington* القريبة من قرية بنسون *Benson* التقى الجمعان ، ودارت رحى معركة شرسة انتهت بهزيمة كينولف عام ٧٧٩م ، واستعاد أوفا كافة أملاكه المغتصبة من قبل (١٦) •

هذا ، ولما كان كينولف مشهودا له بالاعتزاز بالنفس والعناد الشديد ، لذا تقبل الهزيمة على مضض ، وانسحب بفول جيشه

(١٦) The Laud Chronicle, p. 51; The Parker Chronicle, p. 50; Roger of Wendover, vol. I, p. 154; Roger de Hoveden, I, p. 26; Matthew of Wentmisster, I, p. 369; cf. also: Stenton, op. cit., p. 209.

عائدا الى وسكس ، واضعا نصب عينيّه حتمية الثأر لهزيمته السابقة . ولكن مشيئة الله كانت أقوى ، اذ حدث فى عام ٧٨٦م أن ثار المدعو كينهيرد Cyneheard شقيق سيجبرت Sigbert أحد الملوك الذين حكموا وسكس منذ ثلاثين عاما مضت ، وكان يطمع فى التخلص من كينولف والسيطرة على العرش . خرج كينولف لللاقاة عدوه وحسم الصراع معه فى معركة فاصلة ، ليتفرغ بعدها للثأر من أوفّا . ولكن شاعت ارادة السماء أن تنتهى المعركة بمصرع الملكين المتنافسين على عرش المملكة فى عام ٧٨٦م (١٧) ، فانفتح الباب بعد المعركة على مصراعية أمام الملك أوفّا الذى انطلق بجيشه الى وسكس وسيطر عليها وضمها الى أملاكه ، مضيفا بذلك لبنة جديدة الى صرح الامة الانجليزية الواحدة ، أسمى آماله التى كرس حياته وكل امكاناته من أجلها .

وجدير بالذكر هاهنا أن الملك أوفّا بعد انتصاره السابق ، وضم وسكس الى أملاكه ، وبما عرف عنه من دبلوماسية ماهرة ، ووأدا لاي أفكار انفصالية قد تراود ملوك الساكسون الغربيين للخروج عن طاعة مرسيا ، قام أوفّا بتزويج ابنته ايدبره Eadburh الى كبيرهم المدعو بيورهنريك Beorhtric (٧٨٦ — ٨٠٢م) ، وجعله حاكما على وسكس من لدنه ، بعد أن أمّن له العرش وخلصه

The Laud Chronicle, p. 53; The Parker Chronicle, p. 52; (١٧)
 Roger of Wendover, vol. I, p. 155f.; Roger de Hoveden, 1, p. 27;
 The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E. H. D., vol. I, p. 180.

من منافسة ايجبرت Egbert بنففيه خارج انجلترا الى القساسة
الاوربية ، حيث كفل له شارلمان العظيم الحماية والامان • وهكذا
وعن طريق روابط المصاهرة ضمن أوفيا السيطرة التامة على وسكس
وكافة أملاك الساكسون الغربيين فى حياته وبعد مماته أيضا (١٨) •

هذا ، ومن أجل اتمام بناء وحدة الامة ، اتجه أوفيا بناظره
شرقا حيث جماعات الساكسون الشرقيين فى مملكة ايبست أنجليا
(أنجليا الشرقية) East Anglia ، والتي كان يعامل حكامها معاملة
الافصال الخاضعين لسلطان مرسيا (١٩) •

فالثابت أن ايبست انجليا قد زالت أسرتها الحاكمة بموت
ايلفولد Aelfwold عام ٧٤٩م (٢٠) ، فساعت أحوالها وتصارع
زعماؤها طمعا فى كرسى العرش الذى تربع عليه عدد من الملوك
المجهولى النسب ، فانتهزت مرسيا الفرصة ، وسيطرت عليها وظلت
ايبست انجليا منذ ذلك الحين فصاعدا خاضعة لمرسيا حتى نهاية
عهد ايزلبالد عام ٧٥٧م •

(١٨) ظلت كافة أقاليم الساكسون الغربيين خاضعة لسلطان مرسيا بسبب
صلة للنسب هذه حتى عام ٨٠٢م • فى هذا الصدد ، وللمزيد انظر :
The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., p. 180; The Laud
Chronicle, p. 54; The Parker Chronicle, p. 55; Roger of Wendover,
1, p. 165; Roger de Hoveden, 1, p. 27 ff.; cf. also: Stenton, op. cit.,
pp. 209 - 210 & The notes.
Cart. Sax., No. 208; Also: Stenton pp. 204 & n. 5, 205 & (١٩)
n. 1, 210.

(٢٠) اخر ملوك ايبست انجليا ، كان رجلا مثقفا وعلى صلة طيبة بالقديس
بونيفاس Boniface ولقد أمر بتكملة تاريخ أولى مراحل حياة
القديس جوثلاك Guthlac • انظر :
Stenton, op. cit., p. 210 & nos. 2 - 4.

مهما يكن من أمر ، فما ان تولى أؤفا عرش مرسيا عام ٧٥٧م،
 حتى قوى من قبضته على ايست انجليا ، خشية انفصالها عن
 الاتحاد الانجليزى كما حدث بالنسبة لمملكتى وسكس وكنت من قبل
 واضطر أؤفا للتضحية بالعديد من الارواح من أجل اعادتهما الى
 حظيرة الاتحاد كما أسلفنا • ويبدو أن الملك ايثلبرهت *Aethelberht*
 ملك ايست أنجليا فى تلك الاونة (٧٥٠ — ٧٩٦ م) ، قد غضب
 بشدة لتجريد أؤفا اياه من أغلب اختصاصات الملك ، فصر على
 مضض ، عله يجد الفرصه المواتية لتحرير بلاده من سيطرة أؤفا
 عليها • حدث ذلك فى نفس الوقت الذى كان فيه البابا أدريان
 الاول *Adrien I* (٧٧٢ — ٧٩٥ م) ، والكنيسة الرومانية بيدلان
 كافة جهودهما للتخلص من الملك أؤفا ، لمواقفه المعادية للكنيسة
 الرومانية ، حيث اعتبراه وأعماله ضد الكنيسة والعقيدة الكاثوليكية •
 لذا ، قام أدريان باشعال نيران الكراهية لدى ايثلبرهت ضد الملك
 أؤفا وحرصه مكرا منه على مقاتلته لنوال احدى الحسينين : النصر
 أو الشهادة فى ظاهر الامر ، بينما هو فى حقيقة أمره كان يتحرق
 شوقا للتخلص من أؤفا عدو الكنيسة الرومانية اللدود (٢١) • يؤيد
 ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر عن جهود ايثلبرهت المستميتة من
 أجل اعداد قواته ، وقيامه بمهاجمة مرسيا أملا فى تحقيق النصر
 المؤزر أو الحصول على الشهادة والخلد فى الاخرة مع « القديسين

(٢١) سنتناول أسباب تلك الكراهية بالتفصيل فى حينه بعون الله •

والشهداء » ! فكان أن هب أوفيا لمقاتلته ، وفى موقعة حاسمة التقى العدوان وانتهت بهزيمة ايثلبرهت وأسرته يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ مايو ٧٩٤م ومهما يكن، فالملاحظ أن الملك أوفيا على عكس ما جلبت عليه نفسيته من تقوى وورع وحسن خلق نجده هاهنا يتحول الى وحش آدمى ، حيث أحضر ايثلبرهت ثم « ذبحه وفصل رأسه عن جسده بلا رحمة » (٢٢) ، مما يجعل المرء يتعجب ويتساءل عما أصاب سلوك أوفيا الانسانى المعهود عنه دوما فى معاملاته مع أعدائه وهم له ألد الخصام ، وحوله الى سلوك عدوانى وحشى لم نألفه فيه من قبل ؟ •

بادئ ذى بدء ينبغى الإشارة الى أن كافة الوثائق والمصادر المعاصرة والمتأخرة زمنيا لم تشر من قريب أو بعيد الى الاسباب الحقيقية التى حدثت بالملك أوفيا الى سلوك هذا السبيل العدوانى • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يعزى البعض سبب مصرع ايثلبرهت لاسباب تتعلق بحق أسرته فى الحكم ، ورغبته فى الاستقلال عن سيادة مرسيا (٢٣) ، الا أن هذا التبرير غير مقبول ولا يعتد به • يؤكد ذلك ما أشرنا اليه آنفا من أن أوفيا لم يكن من خلقه اتباع هذا السبيل لما عرف عنه من حسن خلق وطيبة قلب وتقوى ، أضف الى ذلك مذكرته المصادر عن سعيه الدائم بلا كلل أو ملل ، لكسب

cf. The Laud Chronicle, p. 55; The Parker Chronicle, (٢٢)
p. 54; Roger of Wendover, 1, p. 158 f.; Roger de
Hoveden, 1, p. 29 & n. 21; cf. also: Stenton, op. cit., p.
210 & The notes.

Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p. 118. (٢٣)

صداقة الملوك المجاورين وتحاشى عداوتهم ، من أجل تدعيم روابط الوحدة معهم داخل اتحاد واحد يضم الامة الانجليزية تحت زعامته (٢٤) . هذا فضلا عن استخدامه أسلوبا دبلوماسيا جديدا غير مألوف لتقوية الروابط مع بعض هؤلاء الملوك ، بتزويجهم وأولادهم ذكرانا وأناثا من أفراد أسرته ضمانا لعدم انفصالهم عن اتحادهم الكونفيدرالى ، مثلما حدث وزوج احدى بناته من بيورتهريك ملك وسكس كما ذكرنا من قبل ، فضلا عن تزويجه اثلريد ملك نورثمبريا من ابنة أخرى له كما سنذكر فى حينه . من هذا المنطلق ينتفى الاخذ بالرأى السابق ، اذ لو كان الامر يتعلق حقا بذلك التبرير ، لاكتفى أوبا بعد النصر الساحق الذى حققه ضد ايثلبرهت بنفيه من انجلترا فى حالة فشله عن كسب وده ، مثلما فعل من قبل مع ايجبرت الطامع فى عرش وسكس رغم كراهيته الشديدة له عام ٧٨٦م (٢٥) .

وبالمثل ، يلاحظ أن كافة المصادر المعاصرة والمتأخرة زمنيا قد صممت تماما عن الاشارة من قريب أو بعيد لاسباب مصرع ايثلبرهت ، مما أوقع الباحثين فى حيرة ، ومن ثم فإن كل ما قيل فى تبرير عملية الذبح مجرد حدس قابل للنقض والتزجيج بمبررات أكثر احتمالا للصحة . لذا فإن من الاصول قبول التبرير السابق ذكره ، وأعنى بذلك تخطيط البابا أدريان وايتلبرهت معا لمهاجمة مرسيا

Matthew of Westminster, 1, p. 368; Roger of Wendover, (٢٤)
1, p. 153.

(٢٥) انظر ما سبق ص ٧٦ وحاشية رقم ١٨ .

للتخلص من تبعية الاخير لها فى الظاهر ، بينما يسعى الاول فى
 قرارة نفسه للخلاص من أوفًا بسبب عداوته الشديدة له « لما
 قام به من أعمال أدت الى تقويض دعائم الايمان » فضلا عن
 « الاشاعات التى ترددت » فى أوساط الكنيسة الرومانية عن « سلوك
 أوفًا المعادى للعقيدة » كما أسلفنا ، ذلك السلوك الذى « هدد
 بالخطر سلطان الكنيسة الرومانية مباشرة » ، وأنذر باخراجه من
 إنجلترا « (٢٦) » .

هذا ، وبالوقوف هاهنا هنيئةً لمناقشة تلك العبارة التى أوردها
 المؤرخ المشهور سير فراند ستنتون نجد بما لا يدع مجالا لبادرة
 شك تأييدا له أهميته ، يؤكد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق
 الملك أوفًا للإسلام ، ولعل ذلك الاعتناق كان سرا ، فكان أن
 « ترددت الشائعات » ، حتى وصلت الى مسامع البابا أدريان ،
 فجن جنونه خوفا على الكنيسة الرومانية وعقيدتها الكاثوليكية ،
 التى لا بد أن تكون قد تأثرت بسبب اعتناق أوفًا للإسلام ، فسارع
 البابا بأعداد بعثة عاجلة أرسلها الى إنجلترا عام ٧٨٦م . ونتضح

(٢٦) وردت تلك العبارة الخطيرة على لسان المؤرخ ستنتون اعتمادا على
 مصادر لم تتح لنا للأسف ، وهى تؤكد ما وصلنا اليه من احتمال
 اعتناق أوفًا للإسلام سرا ، ثم بدأ اعلانه صراحه باصدار ديفاره
 المشهور ، جسا للنبض ، وكشفا لردود الفعل المرتقبة . ولا شك
 أن تلك الشائعات التى ترددت ، وهددت المسيحية بالخطر المباشر
 تؤكد صحة ما وصلنا اليه وتضيف اليه جديدا . انظر :

Stenton, op. cit., p. 215.

أهمية تلك البعثة فى أن البابا قد وضع على رأسها المدعو جورج أسقف أوستيا George bishop of Ostia وهو رجل مشهور بتجارية العديدة فى مجال التبشير بالمسيحية ، ومعه رجل كفء آخر هو ثيوفلاكت أسقف تودى Theophylact bishop of Todi فضلا عن مجموعة أخرى من كبار رجال الدين المسيحي . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن هذه البعثة هى الاولى من نوعها التى لم ترسل البابوية مثيلا لها الى انجلترا من قبل ، وذلك منذ إرسالها بعثة القديس أوجسطين لتبشير انجلترا عام ٥٩٧م . مما يؤكد مدى خطورة الاوضاع المتردية التى وصلت اليها المسيحية فى انجلترا ربما بسبب ارتداد الكثيرين عنها ، فكان لابد من ارسال هذه البعثة العاجلة درءا لتلك المخاطر ، «ومن أجل إعادة تجديد وتثبيت الايمان فى نفوس الانجليز » كما ذكرت المصادر . وتؤكد الشواهد أن الملك أوفًا مكرًا منه قد هادن البابوية وأنكر الشائعات ، ترقبًا للفرصة المواتية لإعلان اسلامه جهارًا نهارًا ، بعد أن يكون قد مكّن لدينه الذى ارتضى فى بلاده . فكان لأول وآخر مرة من نوعها فى تاريخ أوروبا ، أن يأمر ملك مثله بضرب هذا الدينار الفريد ذى عبارات التوحيد الاسلامية فى تحد سافر للبابوية . وهنا ، وليأس البابوية عن اثناء أوفًا عن عزمه ، أو التفاهم معه بالحسنى ، خطط البابا لعزله بالاتفاق مع كل من أيثلبرهت ملك ايسيت أنجليا ، فضلا عن البريطانيين (البريطانيين Britons) فى ويلز ، للقيام بالهجوم على أوفًا ، وحصره بين فكى كماشة تطبق عليه من الشرق والغرب .

لكن شاءت الاقدار أن تفشل تلك الجهود بانتصار أوفيا على ايثلبرهت ومصرعه كما أشرنا آنفا ، أما موقف ويلز من أوفيا وردود فعل الاخير منها ، فهذا جانب آخر من جوانب الموضوع الهامة ، سوف نتناوله بالدراسة التحليلية في حينه فيما بعد .

هذا والغريب أن المصادر قد أجمعت على أن بعثة عام ٧٨٦م قد أرسلتها البابوية « من أجل إعادة تجديد وتثبيت الايمان والسلام اللذين دعا اليهما القديس أوجسطين St. Augustine عام ٥٩٧م من قبل » (٢٧) . وبمناقشة تلك العبارة يلاحظ أهمية فحواها ، إذ انها تؤكد ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق أوفيا الاسلام ، بل ومحاولته نشره في انجلترا ، مما أدى الى ارتداد الكثيرين عن المسيحية ، واحداث هزة عنيفة أصابت العقيدة الكاثوليكية بالضرر ودمرت جهود القديس أوجسطين السابقة لكثلكة انجلترا ، فكانت المحصلة تخطيط البابوية للتخلص من أوفيا ، وفي نفس الوقت أرسل البابا تلك البعثة لاعادة تجديد الدعوة للمسيحية وتثبيتها في نفوس الانجليز كما أكدت المصادر ، وذكرناه من قبل .

وهناك دليل آخر يؤكد صحة ما وصلنا اليه من اتفاق البابا السابق مع ايثلبرهت للتخلص من أوفيا فكان ان ذبح بهذه الطريقة

(٢٧) عن تلك البعثة ، سوء أحوال المسيحية في انجلترا آنذاك انظر The Laud Chronicle, pp. 52, 54; The Parker Chronicle, p. 55; Roger of Wendover, 1, p. 156; Roger de Hoveden, 1, p. 29 & n. 21. cf. Also: Stenton, op. cit., p. 215.

البشعة جزاء وفاقا لاتفاقه هذا • فاقد أشارت المصادر والمراجع لغضب البابوية الشديد لمصرع ايثلبرهت ، واتهامها أوبا «بالوحشية والمزاج الدموى» ، فضلا عن إثارة النفوس ضده ، وحشدها للتخلص منه بعد اعداد تخطيط آخر أكثر حبكة من سابقه • وتقديرا لدور ايثلبرهت ، وكسبا للمشاعر ، أصدر البابا قرارا باعتبار ايثلبرهت « قديسا شهيدا » وأمرت الكنيسة بحفظ جسده فى كاتدرائية هيرفورد Hereford التى أقيمت تخليدا لذكراه (٢٨) •

وجدير بالذكر فى هذا الصدد أيضا ، أن المصادر الكنسية المسيحية المتخصصة فى تاريخ القديسين والشهداء ، لم تشر الى حيثيات القدسية التى أسبغتها على ايثلبرهت من قريب أو بعيد ، بعكس عاداتها المتبعة فى الاسترسال واطهار أمجاد هؤلاء القديسين ودورهم فى التذب عن المسيحية ، مثلما هو الحال بالنسبة « للملك القديس لويس التاسع » على سبيل المثال (٢٩) • أما هاهنا فليس هناك مبرر منطقى يتقبله أى باحث منصف لاسباغ القدسية على

(٢٨) Roger de Hoveden, I, p. 29 & n. 21; cf. also: James, M. R., Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyr, cf. E.H.R., vol. 32, 1917, p. 392; Stenton, op. cit., p. 210 & the notes; D. S., p. 118; C. E., p. 215.

(٢٩) فى هذا الصدد ، وللمزيد عن اسباغ القدسية على لويس التاسع انظر : جوائفيل (سيرجان دى) : القديس لويس - حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة د. حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٣١٩ - ٣٢١ ، وأيضا انظر : D. S., p. 219 f.

ايثلبرهت ، الا القول بما وصلنا اليه بشأن اتفاقه مع البابوية للتخلص من الملك أوفيا للأسباب السابق ذكرها • والمعروف والثابت تاريخيا أن شارلمان كان يعتبر نفسه « المدافع عن العقيدة المسيحية في أوروبا الغربية » لما قام به من أعمال لا تنكر من أجل نشر المسيحية وحمايتها بحد السيف ، ورغم ذلك لم تضعه تلك المصادر الكنسية في مرتبة القديسين ، بينما ايثلبرهت المغمور قياسا بشارلمان اعتبر قديسا شهيدا ! وتكرس كنيسة لتخليد ذكره دون الافصاح عن أسباب تلك القدسية كما أسلفنا • ولاشك أن السبب يعزى في المقام الاول الى رغبة البابوية في تشجيع غيره من الملوك على الانصياع لأوامرها للحصول على مثل هذه المكانة الرفيعة في الآخرة ، ومن ثم ضمان تكتيل كافة القوى ضد أوفيا للتخلص منه وأدا لأفكاره المعادية للمسيحية •

هذا ، والملاحظ أن المؤرخ مستنتون قد علق على مصرع ايثلبرهت فقال : « ان من المرجح القول بأن موت ايثلبرهت كان نتيجة محاولته الاستقلال بمملكته » ، ثم عاد وشكك في رأيه هذا فقال • « ... الا أن ملايسات موته لا زالت مجهولة » (٣٠) ، مشيرا بذلك الى عدم وجود نص أو رواية صريحة توضح السبب الحقيقي لمصرعه ومن ثم يتأكد لنا صحة ماوصلنا اليه

بصدد اتفاق ايثلبرهت المسبق مع البابا للتخلص من أؤفا لاعتناقه الاسلام .

استعرضنا فيما سبق جهود الملك أؤفا العسكرية والدبلوماسية لتوحيد الانجلوساكسون ، بضم ممالكهم تحت زعامته ، من خلال تناولنا علاقاته مع كل من كنت ووسكس وسكس وايبست أنجليا بالدراسة والتحليل . فكان على أؤفا أن يواصل جهوده لاتمام بناء صرح تلك الوحدة ، وذلك باخضاع بقية الممالك الانجلوساكسونية التى لازالت خارج نطاق سلطان مرسيا، وهى نورثمبريا **Northumbria** واسكس **Essex** ، وليندىسى **Lindsey** . والثابت حسبما أشارت الوثائق والمصادر أن مملكتى ليندىسى واسكس الصغيرتين كانتا وغيرهما من الممالك الاخرى المماثلة ، خاضعتين لسيادة مرسيا فى عصر الملك ايزلبالد حتى وفاته فى عام ٧٥٧م ، وبالطبع ظلت تلك الممالك على حالها من التبعية طوال عهد الملك أؤفا ، وكانت مرسيا تعامل ملوك تلك الممالك كملوك أقل مرتبة من غيرهم من الملوك الكبار ، وعرفتهم المصادر باسم **Under - Kings** . فلقد أكدت الوثائق أن أؤفا كان يصدق على قراراتهم دوما . ، فضلا عن منحه البعض أراض فى مدينة هارو **Harrow** دون الرجوع الى ملك اسكس أو مشاورته فى الامر . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشارت وثيقة ثانية الى معاملة أؤفا للملك ليندىسى على أساس أنه مرتبة أقل من الملك **Under - King** كما أسلفنا ، مما يؤكد خضوع حكام

تلك الممالك التام لسلطان مرسيا ، من ثم تتأكد سيطرة أوفيا على كافة الممالك الانجليزية الصغيرة وتبعية ملوكها له (١٣) •

مهما يكن ، فلا مرأى فى أن ما أنجزه الملك أوفيا من نجاح فى مجال توحيد الامة الانجليزية بزعامته ، يعزى فى المقام الأول الى ما حباه الله به من حنكة وجرأة فى ميادين القتال ، فذاغت شهرته كرجل حرب وسياسة فريد الطراز ، ومن ثم استحق عن جدارة لقبى « ملك انجلترا » ، و« ملك كل بلاد الانجليز » (٢٢) كما ذكرنا آنفا ، بعد أن دانت له كافة الممالك الانجليزية (الأنجلوساكسونية) بالولاء والطاعة • وجدير بالذكر أن لقب « ملك كل بلاد الانجليز » (٢٣) • قد استخدمه أوفيا لأول مرة عام ٧٧٤م ، وذلك بالرغم من عدم وجود دلائل تؤكد تخطى سلطانه نهر الهمبر Humber الى مملكة نورثمبريا آنذاك • فالثابت أن الحرب الاهلية قد نشبت فى نورثمبريا فى ذلك العام واستمرت على مر الاعوام التالية طمعا فى العرش ، وظلت الحروب مشتتة حتى عاد أثلريد Athlred الملك المخلوع من

(٢١) ذكر متى أوف ويستمينيستر أسماء ثلاث وعشرين مملكة صغيرة ، أطلق عليها اسم المقاطعات Shires مثال اسكس - ليندسى - جلوسستر Glosister ودربى • وقال بخضوعها التام لسلطان مرسيا فى عهد الملك أوفيا • انظر :

Matthew of Westminster, 1, pp. 379 - 380. cf. also: Stenton, op. cit., pp. 204, 205, 210, 211 & the notes.

Cart. Sax., Nos., 213, 214, 234, 257; cf. also: (٢٢)

Stenton, op. cit., p. 211 & the notes.

Cart. Sax., No. 214. (٢٣)

منفاه ، بعد أن انتصر حزبه على معارضيهِ عام ٧٧٩م * وهنا
وبما عرف عن الملك أَوْفا من بعد نظر ، سارع بتكثيف مساعداته
لأثريد ، وعرض عليه كفالة الحماية والأمان له ، ولعرشه نظير
الانضمام الى اتحاد الممالك الانجليزية الكونفيدرالى بزعامته ،
فوافق أثريد على الفور ضمانا لتأمين عرشه * هذا من جهة ، ومن
جهة أخرى ، وضمانا لاستمرار تواجد نورثمبريا داخل نطاق الاتحاد
أنكح أَوْفا احدى بناته المسماة أَيْلفيلد Aelfield الى أثريد (٣٤)

هذا ، وبانضمام نورثمبريا الى الاتحاد الكونفيدرالى ، اكتمل
بناء صرح وحدة الانجليز (الانجلوساكسون) لأول مرة فى التاريخ
تحت سيادة مرسيا * ذلك الصرح الذى ظل قويا على امتداد عصر
الملك أَوْفا (٧٥٧ — ٧٩٦م) ، وبموته يوم الجمعة ٢٩ يوليو ٧٩٦م
بدأ العد التنازلى لانتهاء سيادة مرسيا على الانجلوساكسون ،
الى أن زالت تماما فى القرن التاسع الميلادى * (٣٥)

(٣٤) The Parker Chronicle, p. 51; Roger of Wendover, 1, pp. 152, 158; Roger de Hoveden, 1, pp. 24 - 30; Matthew of Westminster, 1, 369 f.; Simoen of Durham, cf. E. H. D., vol. I, p. 272; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 90, 93, 94, 212.

(٣٥) عقب موت أَوْفا خلفه ولده إيجفيرث Ecgfrith الذى مات بعد
أقل من خمسة أشهر ، ثم خلفه كينولف Cenwulf قريبه من
بعيد (٧٩٦ — ٨٢١م) ثم كيولولف Ceolwulf الذى عزل عام
٨٢٣م ، ليفسح الطريق أمام بيورنولف Beornwulf المجهول

وجدير بالذكر فى هذا الصدد ، أن اثلريد ملك نورثمبريا قد ظلت روابطه بالمصاهرة مع الملك أؤفا قوية ، حتى تم اغتياله بواسطة مؤامرة دنيئة دبرها بعض من النبلاء المقربين اليه أوائل عام ٧٩٦م (٣٦) ، خرجت بعدها مملكته من الاتحاد الكونفيدرالى من جهة ، فضلا عن سقوطها فى خضم بحر لجى من الصراعات والفوضى التى استغلتها البابوية وسارلمان أيّما استغلال ، من أجل بسط سيطرتها عليها وعلى كافة الامة الانجليزية فيما بعد من جهة أخرى .

الاصل والنسب . وفى عام ٨٢٥ هاجمه ايجبيرت Egbert ملك
وسكس (ت ٨٣٩م) ، وهزمه فى موقعة ايلليندون Ellendun
وهيمنت وسكس على الانجلوساكسون . هذا ، ولقد زالت سيادة مرسيا
تماما بعد هجوم الدانيين عليها أواخر القرن التاسع الميلادى وحيث
انقسمت الى قسمين : انجليزى ودانى ، وظل حالها هكذا حتى تولى
الفريد العظيم حكم وسكس (٨٧١ - ٨٩٩م) ، ثم بسط سلطانه على
مرسيا وكافة الممالك الانجليزية بعد انتصاراته الساحقة على
الدانيين وطردهم من انجلترا . فى هذا الصدد ، وللمزيد عن
تفصيلات الاحداث بعد وفاة أؤفا وانهيال مرسيا وزوال سيادتها
انظر :

The Parker Chronicle, pp. 50, 52 56, 60, 62, 70, 72; 74; 76;
78, 80, 82, 84, 86, 88, 90, 92; The Laud Chronicle, pp. 57, 59; 61;
71, 73, 75, 77, 79, 81, 83, 85, 87, 89, 91; cf. also: Stenton; op.
cit., pp. 225 - 238; 249 - 76; Sh. Camb. Med. Hist., 1, pp. 379 - 87;
Whitelock, cf. E.H.D., p. 23 ff. & the notes.

The Laud Chronicle, p. 57; The parker Chronicle, p. 56 (٣٦)
Stenton, op. cit., pp. 93 - 94. وللمزيد أنظر :

وهنا لابد من وقفة لمناقشة أسباب مصرع أيثلريد لما لها من أهمية فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة • فمما لاشك فيه ، وحسبما أكدت الشواهد التاريخية أن مصرع اثلريد كان سببه صلة النسب التى تربطه بالملك أوفـا بصفة عامة ، ولخوف البابوية من احتمالات تأثره بسبب تلك الصلة بأفكار الملك أوفـا المعادية للمسيحية كما أسلفنا بصفة خاصة • إذا خطط البابا للتخلص من أثلريد ، ويبدو أن شارلمان كان له ضلع كبير فى هذا المخطط الذى انتهى بمصرع أيثلريد يوم ١٨ أبريل ٧٩٦م كما ذكرنا عليه • وعلى الفور قامت حروب أهلية بين مؤيدى الملك الصريح وأعوان المتآمرين انتهت بتنصيب كبيرهم المدعو أيردولف *Eardwulf* ملكا على نورثمبريا بتعزيد من البابوية (٣٧) فثار الاهالى ضد الملك المفروض عليهم قسرا ، فأضطر للفرار على أمل العودة من جديد بمساعدة البابا وشارلمان • يؤيد ذلك الرأى ما أشارت اليه المصادر والمراجع من اهتمام كل من شارلمان والبابا بأحوال نورثمبريا وعرشها ، ورغم أن هناك رواية وحيدة تنفى اشتراك المدعو ايردولف فى قتل أثلريد ، الا أن تطور الأحداث ، وحسبما أكدت المصادر ، لا تؤكد اشتراكه فى المؤامرة فحسب ، بل تؤكد تأمره حتى اخمص قدميه مع البابوية وبتعزيد من شارلمان ضد كينولف *Cenwulf*

The Laud, Chronicle, p. 57; The Paker chronicle, p. 56; (٣٧)
cf. also Stenton, op. cit., p. 94.

ملك مرسيا وقريب الملك أوفا فلقد ذهب ايردولف عقب فراره الى شارلمان طالبا مساعدته واعادته الى العرش ، فأرسل الاخير رسالة من لدنه الى البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥ — ٨١٦م) لتعزيده ، وللمساعدة فى اعادة ايردولف الى عرش نورثمبريا ، وكان أن تم ذلك بالفعل (٣٨) •

لقد كان الاتفاق كما يبدو — ينص على اعادة ايردولف مقابل التخلص من آخر سلالة أسرة وأقارب الملك أوفّا ، وأعنى الملك كينولف Cenwulf (٧٩٦ — ٨٢١م) ، بسبب أعماله المعادية للكنيسة والمسيحية فى انجلترا • فلقد ألمحت المصادر الى فزع البابوية من كينولف بسبب تصرفاته المعادية للعقيدة الكاثوليكية ، بدليل ما أشارت اليه من حدوث صراع بين كينولف وممثل البابوية فى انجلترا ، وللأسف سبب الصراع غير معروف حسبما يؤكد المؤرخ ستنتون ، الذى عاد فأشار الى احتمال أن يكون السبب « انتزاع كينولف ملكية بعض الاراضى التابعة لكاتدرائية كانتربوري » بينما اتهم كينولف رئيس الاساقفة ومندوب البابوية فى كنت « بتصرفات ما » بدرت منه « تستدعى عزله » ، وبلغ الصراع حدا لدرجة أن « البابا هدد باصدار قرار الحرمان ضد انجلترا ، ولكنه عاد وعدل عنه » (٣٩) • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أوعز البابا — وعضده شارلمان فى ذلك — للملك ايردولف بالهجوم على كينولف

Stenton, op. cit., Loc. cit., & the notes.

(٣٨)

Stenton, op. cit., p. 229 & nos. 4 - 5.

(٣٩)

للقضاء عليه وقطع دابر اسرة أوفًا • ففى عام ٨٠١م غزا أيردولف مرسيا ولم تشر الروايات الى نتائج أو أسباب الغزو حسب العادة المتبعة لطمس حقائق تاريخ الملك أوفًا وخلفائه من بعده ، ولقد علق مصدرنا الوحيد هاهنا السير فرانك ستنتون على تلك الأحداث، فقال: « ان الكتاب الانجليز لم يسجلوا شيئاً عن تلك الاتصالات (يقصد اتصالات ايردولف بكل من البابا وشارلمان) ، فليست هناك معلومات عن الاحوال السياسية التى استدعت حدوثها » ، مما يؤكد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الشأن • ولعلنا نضيف جديدا يؤكد ذلك أيضا ، اذ أورد نفس المؤرخ ستنتون عبارة هامة عن تلك الاتصالات ، أوضح بها بطريقة غير مباشرة السبب منها ، اذ قال : « لكن تلك الاتصالات على الاقل توضح أن الامبراطور شارلمان قد رحب بتلك الفرصة التى أتاحت له للتدخل فى شئون شمال انجلترا ، حتى يستطيع مواجهة التحدى القادم اليه عبر القنال الانجليزى ، ممثلا فى تلك القوة المخيفة التى أعدها الملك أوفًا » (٤٠)، أى ان شارلمان « حامى المسيحية فى أوروبا الغربية كما وصف نفسه » (٤١) ، وبتشجيع من البابوية ، قد وجد فرصة عمره فى طلب

(٤٠) اعتمد ستنتون هاهنا على مصادر خاصة لم تتح لغيره من الباحثين، مما أعطى لكتاباتة أهمية خاصة باعتراف المؤرخين الآخرين المعنيين • انظر

Stenton, op. cit., pp. 94 - 95 and the notes.

Stenton, op. cit., p. 219.

(٤١)

ايردولف المساعدة منه ، وذلك للتدخل فى شئون نورثمبيريا ، وحيث يمكنه عن طريقها التحكم فى شمالى انجلترا « واعادة تجديد الدعوة للمسيحية » من جهة ، فضلا عن اتاحة الفرصة له للزحف عبرها فى شخص ايردولف الى مرسيا ، والقضاء تماما على آخر سلالة أوفا فى انجلترا ، ولعل ذلك يفسر قيام ايردولف بغزو مرسيا عام ٨٠١م دون أن تشير المصادر الى أسباب الغزو من قريب أو بعيد كما أوضحنا من قبل •

وجدير بالذكر ان الملك أوفا رغم وجود بعض نقاط الضعف فى علاقاته السياسية مع غيره من الملوك ، فمما لاشك فيه أنه كانت لديه من « القوة الرهيبة » الكافية لجعل شارلمان أعظم الملوك فى ذيك الوقت يعمل له ألف حساب ، وأن يسعى لمهادنته رغم كراهيته الشديدة له ، بل ويخاطبه فى رسالة جاء فيها : « ... ان الحفاظ على روابط الصداقة بين أصحاب الجلالة الملوك ، وأصحاب المقامات الرفيعة ، أمر حتمى من أجل كفالة السلم ودوام المحبة فيما بينهم » (٤٢) ، مما يؤكد عظم مكانة أوفا ، ومعاملة شارلمان له كند مساو له ولعلنا نجد فى رسالتين أخريين ما يؤكد عظم تلك المكانة من جانب ، كما أنهما تؤكدان صدق ما وصلنا اليه من ترجيح

(٤٢) وللمزيد انظر نص الرسالة :

Letter of Charles the Great to OFFA, King of Mercia (796A. D.);

cf. E.H.D., vol, 1, Doc. No. 197, pp. 848 - 839.

اعتناق أَوْفا الاسلام فلقد أشارت المصادر الى رسالة أرسلها شارلمان الى كل من ايزلهرد **Aethelheard** رئيس أساقفة كانتربيري وكيولولف **Ceolwulf** أسقف ليندسى **Lindsey** ، يطالبهما فيها « بالتلطف والتودد الى الملك أَوْفًا » ، واعداءهما بالتدخل لدى أَوْفًا « للسماح لهما بالعودة الى بلديهما ، دون الحاق الضرر بهما » (٤٣) . والثابت أن هذين الرجلين كانا قد أبعدهما أَوْفًا دون أن تذكر المصادر سببا أو أسبابا للابعاد ، والتي يحتمل أنها كانت بسبب موقفهما المعادى للملك أَوْفًا ومعارضتهما إياه لمواقفه المعادية للعقيدة المسيحية ، تلك المواقف التي توجت باصداره ديناره الذهبي ذى عبارات التوحيد الاسلامية . ولعلمهما أخذا معهما بعضا من تلك الدنانير وقدماهما الى البابا أدريان الاول مصحوبة بتقرير واف ، يحدد ظروف ضرب تلك الدنانير ، فضلا عن تبيان سياسة أَوْفا المعادية للكنيسة والعقيدة المسيحية ، كما أخبراه بنوايا أَوْفًا الرامية الى تدمير الكنيسة الرومانية والحط من قدر البابا فى نفوس تابعيه والسعى الجدى الى خله . وآية ذلك أن البابا قد سيطر عليه فزع شديد خوفا من مغبة الاخطار التى سوف تصيب المسيحية فى انجلترا من جراء سياسة أَوْفا تلك واضطر الى أخذ الحذر منه ، وعمل لسياسته ألف حساب (٤٠) هذا

Letter of Charles the Great to Aethelheard archbishop (٤٣)
of Canterbury & Ceolwulf bishop of Lindsey (793 - 796), cf.
E.H.D., vol, 1, Doc. No. 196, p. 847.

Stenton, op. cit., p. 215.

من جانب ، ومن جانب آخر أشارت المصادر الى رسالة ذات عبارات خطيرة الفحوى ، أرسلها البابا أدريان الى الامبراطور شارلمان افاض فيها واستفاض فى مدح الامبراطور حامى المسيحية والمدافع عنها فى أوربا الغربية ، ثم عرج بعد ذلك على موضوع ما سمعه من « شائعات وصلت مسامعه تؤكد تقرير شارلمان وعزمه على خلع البابا تحقيقا لرغبة الملك أوفًا ... » ، تمهيدا لانتخاب بابا آخر من الافرنج بدلا منه ، بناء على اقتراح بهذا الصدد قدمه أوفًا اليه وسعى جاهدا لتحقيقه « (١٠) » . والغريب أن تاريخ تلك الرسالة مجهول (١٦) على غير العادة المتبعة فى مثل هذه الرسائل الهامة فيما بين الملوك والبابوات ! ولربما كتبت فى عام ٧٨٥م أو عام ٧٨٦م . ولاشك أن تلك الرسالة فضلا عن التقرير المشار اليه آنفا ، والذي كتبه كل من ايزلهرد وكيولولف مندوبى البابا تتضح أهميتهما فى انهما قد كشفوا مدى الاخطار التى تهددت المسيحية فى انجلترا كلها ، بسبب اعتناق أوفًا الاسلام ، فكان أن أسرع البابا بارسال بعثة عام ٧٨٦م لاعادة تجديد وتثبيت العقيدة المسيحية فى نفوس الانجليز كما ذكرنا بالتفصيل من قبل .

Councils & Ecclesiastical Documents, ed, A. W. Hadden (٤٥)
& W.S. Stubbs, Oxford, 1871, Vol. III, pp. 440 - 442.

(٤٦) من الملاحظ أن كافة ورائق عصر أوفًا ، وكفًا أوضحنا من قبل اما غير موجودة أو نجد النادر الذى لا يفي بالغرض المطلوب منها . فضلا عن غموض الكثير منها وعدم ذكر تاريخها مما أوقع الباحثين فى
==

ويبدو أن شارلمان قد أرسل رسالة من لذه مع مبعوث الى الملك أوفًا ، بناء على توسلات البابا اليه بالتدخل للحد من خطورة الموقف ، وبما عرف عنه من ذكاء ودبلوماسية استقبل أوفًا السفارة الفرنجية ، فضلا عن مبعوثى البابوية كما أسلفنا بالترحاب مهادنة منه لهم وضمنا لعدم اثاره القلاقل أمام مجهوداته لتوحيد الأمة الانجليزية ، وحتى يوطد أركان عقيدته الجديدة فى نفوس رعاياه ان استطاع الى ذلك سبيلا . فى نفس الوقت يحتمل أن شارلمان كان يسعى من وراء تدخله الى كشف مدى حقيقة ما أشيع عن اعتناق أوفًا للدين الجديد ، فحاول جس نبضه بأن عرض عليه تزويج ابنه شارل من احدى بناته . فرفض أوفًا بشدة ، وطالبه بتزويج ابنته برثا Bertha من ولده ايجفيرث Ecgfrith فاستشاط شارلمان غضبا ، لدرجة أنه أمر بوقف المفاوضات وسحب سفارته وعودتها على الفور ، فضلا عن اصداره أوامره المشددة بمنع كافة التجار الانجليز من دخول جميع موانئ ومدن مملكته للتجارة (١) .

=

حيرة ، ولعل ذلك يفسر أسباب اعتماد كافة المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الملك أوفًا بالذات ، وعلى رأسهم المؤرخ المشهور ستنتون — على الحدس والترجيح ، عند الكتابة عن تاريخ الملك أوفًا بخاصة ، وبتاريخ الانجلوساكسون بعامة .

(٤٧) امدنا الكوين أستاذ شارلمان ومعلمه المشهور بوثيقة هامة ، عبارة عن رسالة أرسلها الى رجل دين ايرلندى يسمى كولكو Colcu فى عام ٧٩٠ ، توضح عدواة شارلمان لاوفا بسبب خلاف ما أثاره

=

هذا ، ولقد تلبدت سماء علاقات أؤفا بشارلمان بالغيوم الداكنة ، وكان أن ألقى الاخير بكامل ثقله الى جانب البابوية وأعداء أؤفا بعامة ، فلقد أشارت المصادر الى تأمين شارلمان لحياة ايجبرت Egbert أحد أعداء أؤفا المشهورين الطامعين فى عرش مرسيا ، فثار هذا الاخير ضد أؤفا الذى هزمه بمساعدة بيورهرترك Beorhetric ملك وسكس عام ٧٨٩م ، الذى كوفىء لمساعدته تلك بتزويج أؤفا اياه من ابنته ايدبره كما أئثرنا من قبل (٤٨) . وهكذا نصيف جديدا الى ما سبق وأئثرنا اليه عن عظم مكانة أؤفا ، وتأثيره القوى على مسار الاحداث فى أوروبا ، فضلا عن تحالف البابوية وشارلمان ضده ، وأدا لجهوده المعادية للكنيسة والعقيدة الكاثوليكية قبل أن يستفحل خطرهما فى انجلترا كلها .

=

الشیطان — ربما كان لاختلاف العقيدة — مما ادى الى توقف حركة ابحار السفن التجارية بين البلدين . انظر : C.E.D., vol, III, p. 487 f.; Letter of Alcuin to Colcu (790 A.D.); cf. E.H.D., vol, I, Doc. 192, pp. 840 841; «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E.H.D., vol. I, No. 20, p. 341. (٤٨) يبدو أن شارلمان وجد الا مناص من مهادنة أؤفا خوفا من القوة الرهيبة التى اعددها ، والتى عمل لها الف حساب ، خاصة وانه وجد من الصعب عليه عبور القنال الانجليزى ومهاجمته . لذا ، ولرغبته فى سيولة التجارة بين الجانبين من جديد ، اضطر لمهادنته وتكليف الكوين بالتدخل للصلح بينهما . وتم هذا : وعادت التجارة الى سالف عصرها من النشاط بين الجانبين .

انظر :

C.E.D. vol. III, p. 487 f., also: Stenton. op. cit., pp. 216 - 270; Wormald, op. cit., p. 101.

— ٩٧ —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انّا كنا من قبله مسلمين » •
(القصص : ٥٢ - ٥٣)

الفصل الثاني

أوفًا ودوره الحضارى

(٧٥٧ — ٧٩٦ م)

- أوفًا باعت النهضة الانجليزية •
- دور أوفًا فى النهوض بالتعليم والثقافة والجيش ، واصلاح
النظم التشريعية والمالية والاقتصادية •
- الاهتمام بالتجارة الخارجية وتنشيطها بعقد الاتفاقيات
التجارية مع الفرنج والخلافة العباسية •
- التغيرات التى استحدثها أوفًا فى العملات
الأنجلوساكسونية ودلالاتها الهامة •
- دينار أوفًا الذهبى ذو عبارات التوحيد الاسلامية والآراء
المختلفة حول أسباب ضربه •

بعد أن أمطنا اللثام فى الفصل السابق عن الجهود الناجحة التى بذلها الملك أوفاً لتوحيد الممالك الانجلوساكسونية من جانب ، وبعد كشف النقاب عن مواقف كل من شارلمان والبابوية المعادية له من جانب آخر ، ينبغي أن ننقل هاهنا لمناقشة دور أوفاً الحضارى وأثره فى وضع نواة نهضة الأمة الانجليزية ، لما فى ذلك من أهمية فى كشف غموض عصره ، ومن ثم سد بعض ثغرات البحث .

حقيقة ان أوفاً لم يكن رجل حرب وسياسة فحسب ، بل كان رجل دولة ومنظماً بارعاً فريد الطراز ، فلا شك فى أن أعماله فى هذا الصدد لا تنقل عظمة عن أعماله السياسية والعسكرية ، فلقد اهتم بالنظام المالى والاقتصادى ، فضلاً عن النظام التشريعى . وبذل جهوداً مكثفة من أجل رفع مستوى الانجليز الثقافى والاجتماعى ، وكفالة الأمن والأمان لهم ، وحماية مكاسبهم السياسية والاقتصادية التى حصلوا عليها فى عصره . ناهيك عن اهتمامه بالتشيد والبناء ممثلاً فى سوره العظيم **OFFA'S DYKE** الذى سوف نتناوله بالتفصيل فى الفصل الاخير ، فضلاً عن عنايته الفائقة بالجيش التى تمثلت فى اعداده تلك « القوة الرهيبة » التى حقق بها أعظم انجازاته بتوحيد الأمة الانجليزية تحت قيادته لأول مرة فى التاريخ كما أسلفنا هذا ، ولقد حصلنا من وثائق عصره النادرة على روايات تؤكد اهتمام أوفاً الشديد بالثقافة والتعليم ، فضلاً عن البناء والتعمير (١) . أما

(١) أكد الكوين فى رسالة الى أوفاً فى احدى السنوات ما بين عام ٧٨٧م وعام ٧٩٦م اهتمام أوفاً بالتعليم والثقافة وشكره على جهوده تلك . ولقد علق د. وايت لوك D. Whitelock على جهود

جهوده في مجال التشريعات ، فهي واضحة وهامة ، إلا أنه للأسف لم تصلنا قوانينه ، ولولا إشارة ألفريد العظيم ملك وسكس (٨٧١ — ٨٩٩م) نفسه في مقدمة قوانينه بأنه قد استعان في إصدارها بقوانين من سبقوه وعلى رأسها « قوانين الملك أوفثا » ، (٢) ما عرفنا عنها شيئاً ألبتة .

وهنا لابد من وقفه لمناقشة سياسة أوفثا الاقتصادية من خلال تشجيعه التجارة ، وسك العملات اللازمة لتسهيل عملية التبادل التجاري وضمان سيولتها ، لما لها من أهمية في كشف النقاب عن أهم وأخطر جوانب البحث .

فعلى امتداد عصره ، قام الملك أوفثا (٧٥٧ — ٧٩٦م) بجهود سياسية ، وخاض المعارك الحربية من أجل وحدة الامة الانجليزية التي سخر كافة امكاناته المالية والبشرية من أجلها ، وقد نجح

أوفثا ونشاطه التعليمي والعمراني واشاد به وللاسف فان كافة

وثائق عصره قد ضاعت ولم يصلنا الا النادر اليسير . انظر

Lettre of Alcuin to OFFA, King of Mercia (787 -

796). cf. E.H.D., Doc 195, p. 846 f.; E.H.D., p. 22 &

the notes.

The Laws of Alfred (885 - 899), cf. E.H.D., Vol, I, No.

33, p. 407 ff; Letter of Alcuin to The Mercian Ealdorman

Osbert (797), cf. E.H.D, vol I, Doc. 202, pp. 854 - 56;

Cantor, N., The Medieval World (300 - 1300), N. Y, 1968,

p. 93.

فى ذلك أيّما نجاح كما أسلفنا • هذا ، ويعزى نجاحه فى المقام الاول الى ثروته المتحصلة من رسوم وأرباح البضائع والسلع التجارية المختلفة التى كانت ترد الى انجلترا من كافة الدول المعروفة آنذاك مما ساعده على تكوين تلك القوة العسكرية الرهيبة التى أفزعت شارلمان من جهة ، والتى استخدمها فى اقامة صرح الوحدة الانجليزية وحماية انجازاته فى شتى الميادين من جهة أخرى •

لا غرو أن جهود أؤفا لرفع مستوى معيشة الامة الانجليزية وانجازاته فى مجال تنشيط التجارة وسك العملات كانت هى شغله الشاغل ، ولعلنا نجد فى عبارة قالها هو نفسه عن أهمية التجارة ما يؤكد اهتمامه الكبير بها، اذ قال: «ان أى ملك يريد أن يرفع مستوى معيشة شعبه وتحقيق أمجاده ، لابد أن يهتم بالتجارة ويشجعها » (٣) • ولا شك أن هدفه من تشجيع التجارة كان فى المرتبة الاولى اعداد القوة اللازمة لتحقيق أهدافه لتوحيد الامة الانجليزية ورفع مستوى معيشتها ، عن طريق الرسوم المتحصلة من التجارة وأرباحها • والثابت أن علاقات انجلترا مع القارة الاوربية والعالم الاسلامى كانت قوية فى المجال التجارى ابان عصر الملك أؤفا • والحقيقة أنه يصعب على الباحثين تحديد النشاط التجارى بين انجلترا والقارة ، ولكن توجد شواهد تاريخية تؤكد ازدياده فى القرن السابع وبداية الثامن الميلادى فلقد أشار المؤرخ بيد Bede فى سياق حديثه عن أحداث عام ٧٦٩م الى محاولات أحد التجار الفريزيان Firisian الموجودين فى

لندن شراء أسير حرب انجليزى (٤) وبعد حوالى قرن من الزمان وردت اشارة تفيد تواجد جالية تجارية كبيرة من التجار الفريزيان فى مدينة يورك York ورغم ذلك فان الاشارات عن مدى حجم التبادل التجارى بين انجلترا وبلاد الغال (فرنسا) قبل تلك الفترة كانت بسيطة (٥) *

- سبق أن أوضحت أهمية التجارة بالنسبة للملك أؤفا بالاشارة الى أن شارلمان عندما غضب منه — بعد رفضه العدول عن آرائه المعادية للكنيسة — قام بحرمان كافة التجار الانجليز من دخول المدن والموانى لاتابعة له وأغلقها فى وجوههم كما أسلفا * (٦) ولاشك أن هذا الاجراء قد هدد بالخطر مصالح التجار الانجليز والافرنج على حد سواء ، فاضطر الملك الى مهادنة بعضهما البعض ، ومن ثم تمت اعادة العلاقات التجارية بين الجانبين الى سابق عهدها من ناحية ، ومن ناحية أخرى عقد الملك أؤفا مع شارلمان اتفاقية تجارية تعتبر الاولى من نوعها فى تاريخ انجلترا * تعهد فيها الطرفان بتسهيل سبل التجارة ، وكفالة الامن والحماية لتجار كلا البلدين * فمن جانبه ، تعهد شارلمان « بكفالة الامن والامان للتجار الانجليز طبقا للاعراف التجارية القديمة » ، ثم استطرد قائلا : واذا حدث وأسىء اليهم أو ابتلوا بظلم جائر ، عليهم التقدم بشكاياتهم الينا

Bede, op. cit., pp. 244 - 245; cf, also, Stenton, op. cit., (٤)
p 220.

Stenton, op. cit., loc. cit. (٥)

(٦) . انظر ما سبق ص ٩٥ وحاشية رقم ٤٧ من الفصل الاول *

(أى الى شرلمان) أو الى قضائنا ، ولسوف نصدر أوامرنا لاحقاق الحق ، وكفالة العدالة لهم » • أما التجار الافرنج فلقد كفلت لهم نفس الاتفاقية الحماية والرعاية فى ربوع انجلترا ، وجاء فى هذا الصدد على لسان شارلمان : « وبالمثل فان رجالنا اذا ماعانوا من أى عمل عدائى فى بلادكم (أى فى انجلترا) عليهم التقدم بشكاياتهم اليكم (أى الى الملك أوفًا من أجل تطبيق قواعد قوانينكم العادلة » (٧) •

هذا ، ولما كان النشاط التجارى فى حاجة الى عملة متداولة ، لذا أصدر الملك أوفًا قراراته باصلاح العملة ، وتوجها بضرب عملات جديدة أخرى • ومايهنا فى هذا الصدد عملته الذهبية المشهورة ذات عبارات التوحيد الاسلامية ، التى سبق الاشارة اليها عرضا من قبل تلك العملة التى لم تخلد اسم أوفًا على مر التاريخ فحسب ، بل غلفت شخصيته بغموض شديد ، مما حير المؤرخين فى فهمها ، ومن ثم صعب عليهم مهمة تفهم الاسباب الحقيقية التى جعلته يضرب هذا الدينار الذهبى ، الفريد فى مظهره ومخبره ، تلك الاسباب التى سوف نتناولها بالبحث والدراسة التفصيلية ، بعد مقارنتها بكافة الآراء التى قيلت فى تبرير اصدار تلك العملة وعلى ضوء ما جاء فى المصادر والوثائق ، بغية الوصول الى كشف السر الحقيقى من وراء ضرب هذا الدينار •

C.E.D., vol. III, pp. 487 - 498; E.H.D., vol. I, Doc. No. (٧)
197, pp. 448 - 449; cf. also: Stenton, op. cit., pp. 220 - 224
and the notes.

ومن الأهمية بمكان ، وقبل مناقشة تلك الآراء ، ينبغي الإشارة الى أن الانجلوساكسون قد ضربوا أول عملة لهم على طراز العملات الرومانية الفضية وليست الميروفنجية ، حدث ذلك فى كل من لندن وكانتربريورى وغيرهما من مدن وسط وجنوب انجلترا ، ومع مرور الزمن ، تحولت تلك العملات الفضية الى نحاسية فى بعض الممالك مثلما حدث فى نورتمبريا ، وكان اسما الملك وضارب العملة ينقشان عليها . أما عملات جنوب انجلترا فكانت فضية ، ونادرا ما نقش عليها اسم الملك أو اسم الضارب ، مثال عملة مملكة مرسيا التى سكها كل من الملك بندا (٦٣٢ - ٥٦٤م) ، وولده ايزلريد خليفته الثالث من بعده (٦٧٤ - ٧٠٤م) . كذلك تداولت انجلترا الانجلوساكسونية عملة أقل حجما من الفضية ، عرفت باسم البنس Penny ، والمعروف أن كلمة بنس قد استخدمت فى بلاد الغال فى القرن الثامن الميلادى ، مما يدل على قوة التبادل التجارى فيما بين البلدين فى عصر الميروفنجيين (٨) .

وبعد تولى الملك أؤفا عرش مرسيا ، وبعد بسط سيادته على الممالك الانجليزية ، أصدر أوامره الصارمة بوقف استخدام كافة

(٨) Stenton, op. cit., p. 222 & the notes; Hobson, B., Coins & Coin Collecting, London, 1965, p. 35; Kent, J., 2000 Years of British Coins & Medals, British Museum Publications, London 1978, p. 15.

أنواع العملات السائدة فى عصور سابقه ، وتم تطبيق هذا القرار على كافة الممالك الانجليزية فيما عدا نورثميريا التى خضعت لسلطانه الفعلى فى السنوات الاخيرة من حياته كما ذكرنا آنفا . هذا وعوضا عن العملة الملقاة ، أصدر أوفأ أمرا بسك عملة جديدة امتازت عن الاولى بزيادة الوزن ، وكانت غالبيتها تحمل اسم الملك أوفأ فقط ، باستثناء القليل منها الذى حمل اسم الضارب أيضا (٩) . ولقد تنوعت عملات الملك أوفأ من حيث الشكل والحجم ، ويلاحظ أن عملات بداية عصره قد حملت صورته ، وكانت ذات سمات خاصة ميزتها عن كافة عملات الانجلوساكسون . أما عملات أخريات عصره ، فقد أصبحت أقل جمالا رغم زيادة أوزانها قليلا عن سابقتها ، مع اختفاء صورته ونقش اسمه بحروف أكبر ، كما لو كان أوفأ يريد ابراز اسمه بصورة أكبر وأعظم من أقرانه الملوك . هذا ويعلق المؤرخ ستنتون على تلك التغييرات الهامة التى أحدثها أوفأ فى مجال العملات أصدق تعليق فقال : « ان تاريخ العملات المتداولة فى انجلترا ، قد بدأ فى عصر الملك أوفأ » (١٠) .

ومن الغريب أن عملات بداية عصر أوفأ كانت تحمل على الظهر

Blunt, C. S., «The Coinage of OFFA» cf. «Anglo - Saxon Coins» ed, R.H.M. Dolly, London 1961, pp. 49 - 50; (٩)
 Stenton, op. cit., p. 222 & n. 3; Hobson, op. cit., p. 35;
 Kent, op. cit., p. 15.
 Stenton, op. cit., p. 223. (١٠)

علامة الصليب المسيحية ، أما الوجه فكانت صورة الملك عليه ، أما عملات أواخر عصره ، فيلاحظ أنها فى البداية قد حملت علامة ليست بالصليب ، ولكنها مشابهة الى حد ما ، وضعت بحجم أصغر ثم تلاشت فى السنوات الأخيرة من عصره ! فضلا عن اختفاء صورته كما أسلفنا (١١) . ولا شك أن ذلك يعد دليلا قاطعا على صحة ماوصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أؤفا الاسلام ، ويضيف جديدا اليه . أما العملات الذهبية التى أصدرها أؤفا فهى تتمثل فى ذلك الدينار الذهبى الذى نقشت عليه عبارات التوحيد الاسلامية فضلا عن نقش اسم الملك أؤفا باللاتينية OFFA REX ولقد امتاز الدينار بسمات خاصة جعلته فريدا فى نوعه قياسا الى كافة العملات الصادرة فى أوروبا الغربية على وجه الاطلاق فى العصور الوسطى (١٢) .

(١١) نشر المؤرخ ب . هوبسون B. Hobson المتخصص فى علم النميات لوحتين تمثل الاولى احد بنسات بداية عصر اؤفا منقوشا عليه اسم وصورة الملك على الوجه ، اما الظهر فقد نقش عليه شارة الصليب بشكل كبير واضح فى الوسط ، وتوضح اللوحة جمال ودقة نقوش عملات تلك الفترة كما ذكرنا عاليا . اما اللوحة الثانية فتشير الى بنس ضرب فى اخريات عصر أؤفا ، ويلاحظ عدم وجود شارة الصليب الكبيرة كما كان الحال فى الفترة الاولى من عصره ، وحل محلها اسم ضارب العملة المدعو بابا Babba أما الوجه فقد نقش عليه اسم الملك اؤفا بشكل دائرى حول دائرة صغيرة فى وسط المركز أنظر :

Hobson, op. cit., p. 35.

(١٢) سمع العالم عن هذا الدينار لاول مرة عام ١٨٤١ وذلك فى تقرير أعده السيد / أدريان دى لو نجبيرير Adrian de Longperier

مهما يكن من أمر ، بعد دراسة علمية مستفيضة للدينار ، يلاحظ جهل ضاربه باللغة العربية ، ومن ثم يتأكد لنا أن الدينار قد ضرب بدار السك الخاصة التي أنشأها الملك أوفا في انجلترا ، يؤكد ذلك الرأي وجود العديد من الأخطاء في نقوش كتابات الدينار العربية على الظهر والوجه ، ونذكر بعض ما استطلعنا الوصول إليه من تلك الأخطاء فيما يلي :

اولا : أخطاء الوجه

١ - كلمة « اله » في السطر الاول من مركز الوجه ، نقش

=

وارسله الى جمعية هواة جمع المسكوكات والقلائد والاوراق المالية .
 وأشار فيه الى أنه قد « حصل على هذا الدينار بعد جهد جهيد من
 الراحل دوق دى بلاكاس Duse de Blacas أثناء إقامته في مدينة
 روما » . هذا ويرجح اكتشاف هذا الدينار في مدينة روما او إحدى
 الضواحي القريبة منها ، بالرغم من عدم وجود دليل قاطع يؤيد
 هذا الرأي أو ذلك . لعل اكتشاف هذا الدينار في تلك المدينة قد
 جعل البعض يأخذ بالرأي القائل بأن أوفا قد ضربه من أجل دفع
 ضريبة أو منحة القديس بطرس المقررة عليه للكنيسة الرومانية
 سنويا ، ذلك الرأي الذي اثبتنا عدم صحته في حينه . في هذا
 الصدد وللمزيد انظر : Blunt, op. cit., pp. 50 - 51 cf, also :
 بلوك (مارك) : « مشكلة الذهب في العصر الوسيط » ،
 المقالة الاولى في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة ا
 توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،
 القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٨ .

ضارب العملة الانجليزي حرف « الهاء المربوطة » فى شكل حرف
« دال » ♦

٢ — أما كلمة « وحده » فى السطر الثانى من مركز الوجه ،
فقد ورد حرف « الالف » بدلا من حرف « الواو » ♦

٣ — كذلك وردت « الهاء المربوطة » فى نفس الكلمة السابقة
« وحده » فى صورة شاذة لم ترد فى أى من العملات العباسية
التي ضرب أوفى دينارها على طرازها ♦

٤ — فى كلمة « له » بالسطر الثالث من مركز الوجه ، يلاحظ
أن حرف « الدال » قد ورد بدلا من « الهاء المربوطة » ♦

ثانيا : أخطاء الظهر

١ — فى كلمة « الله » بالسطر الثالث من مركز الظهر ، وردت
« الهاء » صحيحة كما هو الحال فى المسكوكات العباسية الذهبية
التي ضرب الدينار على طرازها ، بعكس حالها فى كلمة « اله »
حيث وردت فى صورة « دال » فى السطر الاول من مركز الوجه
كما أسلفنا عليه ♦

٢ — فى هامش الظهر وردت كلمة « وخمسين » خطأ ، فهى
لا تتفق ومثيلاتها فى الدنانير العباسية المشابهة الطراز ♦ فلقد
سجل حفار قالب السك حرف « الميم » كما لو كان « سنة للباء أو
الثاء أو التاء » ♦

تلك أمثلة أوردناها على سبيل المثال لا الحصر ، وتؤكد أن

الدينار قد تم ضربه فى دور السك الخاصة بالملك أوفًا فى انجلترا كما
أسلفنا ، وبهذا ينتفى احتمال القول بأن الدينار قد زيف أو أقحم
اسم الملك أوفًا عليه اقحاما (١٣) ، وفيما يلي نص كتابات النقوش
العربية واللاتينية على دينار الملك أوفًا :

اولا : الوجه :

بامشى :

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين
كله .

مركز :

لا اله الا

الله وحده

لا شريك له

(١٣) انظر اللوحة رقم (١) الخاصة بدينار الملك أوفًا ، والدينار العباسى
الاصلى الذى ضرب ديناراه على طرازه وللاسف لا توجد
سوى تلك القطعة النادرة من دينار الملك أوفًا ، وهى
محفوظة بالمتحف البريطانى . ولقد حصلنا على تصريح خاص
بنشر صورة اللوحة المرفقة هاهنا . وجدير بالذكر ان الملك أوفًا قد
ضرب ديناراه هذا على نمط دينار عباسى اصدره الخليفة المنصور
بالله (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) وقد استمر تداول هذا
الدينار فى عصور خلفائه من بعده والمعاصرين للملك أوفًا وهم :
المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) ، وهارون الرشيد
(١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) ويرجح أن الضرب قد تم فى
السنوات الاثنتى عشرة الاخيرة من حكمه (٧٨٤ - ٧٩٦ م /
١٦٨ - ١٨٠ هـ) ، أى بعد أن وحد الامة الانجليزية ، وأصبح قوة
=

ثانيا : الظهر :

هامش :

بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وخمسين ومئة .

مركز :

محمد

REX

رسول

OFFA

الله

وهنا نجد أنفسنا أمام تساؤل ملح يطرح نفسه علينا في طلب
الاجابة ، ألا وهو : هل اعتنق الملك أوبا الاسلام ، فـضرب هذا
الدينار تأكيدا لذلك ؟ أم أن هناك أسبابا أخرى ؟

قبل الاجابة ، ينبغي التنويه الى أن كافة المصادر والوثائق
المعاصرة والمتأخرة زمنيا لم تشر البتة الى هذا الدينار من قريب
أو بعيد ، وبالمثل أهملت دوائر المعارف العالمية والمعاجم والمراجع
المتخصصة الاشارة اليه ، رغم أن غالبيتها قد أشارت الى عملات

=

ترهبها البابوية) ويخشاهما شارلمان كما أسلفنا . انظر : عبد الرحمن
فهمي محمد : موسوعة النقود العربية وعلم النميات (١) - فجر السكة
العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥ ، لوحة ٣٤ (دينار عباسي
ذهبي) رقم ١٥٥٥٧ (رقم السجل بالمتحف الاسلامي ١٨٣٣٨ ذهب
- وزن ٤.٢٣٠ القطر ١٩) وايضا انظر :

Brooke, G. C. English Coins from the Seventh Century to
the present day, London 1932, pp. 22.

الفترة المبكرة من عصره • ومن الغريب — اضافة الى ما سبق — أن المؤرخين المعنيين بالحديثين رغم امكانية تفهمهم معانى نقوش عبارات التوحيد الاسلامية الخاصة بالدينار بطريقة أو بأخرى ، فاننا نجدهم من ناحية أخرى قد تغاضوا كلية عن الاشارة الى تلك العبارات ، باستثناء البعض منهم الذين رغم اشارتهم الى تلك العبارات الاسلامية فانهم قد مروا عليها مرور الكرام دون تعليق يذكر رغم خطورة مدلولاتها ، ورغم تفهم بعضهم بل واجادته اللغة العربية قراءة وكتابة مما يجعل المرء يتساءل عما اذا كان هذا الاهمال متعمدا من أجل طمس حقيقة تاريخ هذا الملك العظيم لاعتناقه الاسلام ؟

الحقيقة ان الشواهد التاريخية ترجح أن الملك أوفًا قد اعتنق الاسلام وسواء أكان قد اعتنقه وحده ، أم هو وأفراد أسرته وكبار رجال حاشيته ، فالثابت أن البابوية ورجال الكنيسة الرومانية قد جن جنونهم ، وخططوا مع شارلمان للتخلص من أوفًا كما أوضحنا من قبل • ولعل ذلك يفسر سبب اختفاء كافة وثائق عصر الملك أوفًا دون غيره من الملوك الانجليز ، رغم عظم مكانته باعترااف كافة

(١٤) انظر دوائر المعارف والمراجع الاتية :

Atiya, A. S., Crusade, Commerce & Culture, N. Y. 1966, p. 169; Kent, op. cit., p. 15 & plate No. 5; Hobson, p. 35; D. U., p. 1382; E.B., vol. VI, p. 800; N. A. E., vol. VI, p. 453; A. A. E., vol. 14, p. 355; O. C. E. L., p. 562; N. E. B., vol. VIII, p. 488, C. E., vol. XI, p. 215; Ch. E., vol. X, p. 194.

دوائر المعارف العالمية ، والمراجع المتخصصة ، ولا شك أن ضياعها مرده قيام رجال الكنيسة الانجليزية بجمع كافة الوثائق والتخلص منها بتحريض البابوية ضمنا لطمس معالم تاريخ أؤفا وجعله نسيا منسيا •

وهنا لابد من التوقف برهة لمناقشة كافة الآراء التى قيلت فى تبرير ضرب الملك أؤفا لديناره هذا ، للتأكد من مدى صدقها أو عدمه، على ضوء ما سبق سرده من تفاصيل أحداث عصره وانجازاته فى كافة الميادين العمرانية والتشريعية والثقافية والتجارية من جهة، وعلى ضوء علاقاته بكل من البابا وشارلمان والخلافة العباسية من جهة أخرى ، آملين الوصول الى الحقيقة التاريخية المنزهة عن أى غرض آخر •

الثابت أن دينار الملك أؤفا كان ولا زال حتى ساعتنا هذه موضوع بحث ودراسة مستفيضة من العديدين المهتمين بدراسة تاريخ أوربا فى العصور الوسطى وعلم النّميات بصفة عامة • هذا ، ولقد عزا البعض سبب سك هذا الدينار الى رغبة الملك أؤفا فى دفع المنحة أو الضريبة المقررة عليه سنويا للكنيسة الرومانية والمعروفة باسم بنس بطرس Peter's Pence (١٥) • وهناك رأى آخر يقول بأن الملك أؤفا قد ضرب هذا الدينار « اشباعا لحالة نفسية انتابته ، وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه ، ودفعته لضربه تشبها بالدينار الاسلامى ذى المكنة العالمية فى عالم تجارة العصور الوسطى » ثم عللت هذا العمل لرغبته « فى الظهور والشهرة والتفاخر

بين أقرانه من الملوك المعاصرين بمقدرته على سك مثل هذا الدينار (المنقوش *mancus*) من أجل تقديمه الى البابوية وفاء للمنحة المقررة عليه سنويا » ، مما يتفق والرأى السابق الذكر عليه • ويعزى أصحاب هذا الرأى سبب الضرب الى رغبة الملك أوفّا فى « ايلام البابوية وعقابها » ! وهناك فريق آخر يقول بأن الدينار قد زوره البعض وأقحم اسم الملك أوفّا عليه ، ومن ثم نسب اليه زورا وبهتانا دون توضيحهم أسباب أخذهم بهذا الرأى (١٦) • وجدير بالذكر أننا أوضحنا بالدليل القاطع عدم صحة هذا الرأى ، وأيدنا ذلك بما أثبتناه من أنه قد تم ضربه فى دور سلك العملة الخاصة بالملك أوفّا فى انجلترا كما أسلفنا (١٧) •

أما بالنسبة للرأى القائل بأن أوفّا سك الدينار لدفع المنحة أو الضريبة السنوية للبابوية (المعروفة باسم بنس القديس بطرس) فهو رأى غريب لا يتفق والمنطق السليم ، اذ كيف يتقبل الباحث المنصف القول بسداد الجزية أو المنحة السنوية للبابا بمثل هذا

(١٦) لخص وأورد تلك الاراء س ١٠٠ • بلنت وذلك بعد اطلاعه على كافة المراجع التى تناولت دينار الملك أوفّا بالدراسة والتحليل • انظر تلك الاراء فى :

Blunt, pp. 49 - 51, 62; cf. also: Allan, J., cf. N. C., 1914, p. 7 ff.; Allen, D. F., cf. B. N. J., vol. 25, 111, 1948, pp. 267 - 269; Beltran p., cf.; Centennial Publication of the American Numismatic Society, 1958, pp. 83 - 88.

(١٧) انظر ما سبق ص ١٠٩ - ١١٢ •

الدينار ذى عبارات التوحيد الاسلامية ! خاصة وانها فى نظرهم عبارات كفر وهرطقة وخارجة عن الايمان الصحيح قلبا وقالبا ! (١١) .
وبالمثل ، تجد الرأى الثانى مرفوضا كلية ، خاصة وأن أصحابه دلووا على صدق رأيهم بالقول « بجهل الملك أوفًا ومستتاريه بمعانى عبارات التوحيد الاسلامية عندما قدّدت البابوية » ، وفاء للمنحة أو

(١٨) لعلنا نجد فى مواقف البابوية والكنيسة الرومانية المعادية لمثل تلك العبارات الاسلامية فيما بعد عصر أوفيا إبان الحروب الصليبية ما يؤكد رفض الرأى القائل بدفع أوفيا الجزية السنوية بهذا الدينار . ولقد حدث ان ضرب الامراء الصليبيون فى طرابلس وصيدا عملات عليها اسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والتاريخ الهجرى . فرفض مندوب البابا المصاحب لحملة لويس التاسع انذاك تلك العملة ، واصدر قرارا بالحرمان ووافقه البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) فى قراره ، واصدر قرارا بتحريم هذه العملة كلية ، وأمر بضرب عملات ذات عبارات صليبية . وهكذا يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه عن رفض البابا قبول مثل هذه العملة نظير الوفاء بالجزية المطلوبة من أوفيا سنويا ، كما اشارت المراجع . فى هذا الشأن وللمزيد عن تلك العملات وأهمية الدنانير العربية فى التجارة العالمية ، انظر :

Schlumberger, G., Numismatique de L'Orient Latin, Paris 1878, pp. 139 - 140; Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, pp. 282 ff.; Atiya, op. cit., pp. 16 - 167; cf. also:

مصطفى حسن الكنانى . العلاقات بين جنوة والشرق الادنى الاسلامى (١١٦١ - ١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) ، الاسكندرية ٦٩٨١ ، ص ٣١٢ - ٣١٦ والحواشى .

الجزية السنوية المقررة على مرسيا ١ (١٩) وإذا افترضنا جدلا صحة رأى ج . ألان J. Allan هذا ، وقلنا بجهل الملك أؤفا ومستشاريه بمضمون عبارات التوحيد الاسلامية تلك ، فأين كان كبار رجال الكنيسة الانجليزية وماذا كان رد فعلهم تجاه اصدار تلك العملة ، وخروجها الى حيز النور في مجال المعاملات التجارية ؟ هذا ، وإذا علمنا أن رجال الكنيسة الانجليزية وعلى رأسهم البابا الروماني كانوا على شقاق دائم مع الملك أؤفا ، وكانوا دوما يتربصون به الدوائر كما أسلفنا ، لذا ، لا يمكن القول بأى حال من الاحوال بجهل البابوية ورجال الكنيسة الانجليزية بمفهوم تلك العبارات ، وصمتهم

(١٩) فى هذا الصدد وللمزيد أنظر : Allan, op. cit., p. 77 ff.

وجدير بالذكر ان الصليبيين فى الشرق قلدوا الدنانير الفاطمية المعروفة بارتفاع وزنها ونقاء عيارها ، ثم قلدوا مثيلاتها الايوبية فيما بعد وعرف المؤرخون الدينار الصليبي المقلد باسم Besant Saracenat وعرفه العرب باسم الدينار الصورى ، وكان يزن ثلثي الدينار الاسلامى المقلد تقريبا . وأول دنانير صليبية مقلدة للدينار الفاطمى حملت الحرفين B. T. وأحيانا كان الصليب ينقش عليها ، وأحيانا أخرى لا ينقش . وتفسر بعض المراجع المتخصصة الحرفين بأنهما اختصار لكلمتى برتراند Berterand وقانكسرد Tancred ، ولربما كان الحرف T. يرمز الى صور Tyre أو طرابلس Tropolli وحرف B. قد يعنى برتراند أو بيروت Beirut ويلاحظ أنه رغم تحريم البابوية القاطع لهذه الدنانير الا ان الايطاليين ضربوا عملات صليبية المضمون بها عبارات التثليث بدلا من عبارات التوحيد الاسلامية وذلك باللغة العربية مع وجود الصليب فى المنتصف ، واحتفاظها بالاطار العام للدنانير الاسلامية

التمام حتى يتم تداولها فى الاسواق أمام ناظرهم ، بل والاغرب من ذلك قبولهم اياها وفاء لمنحة القديس بطرس كما قيل ! ولعلنا نجد فى رأى آخر قاله المؤرخ س ١٠٠ * بلنت ما يؤيد ما وصلنا اليه ، اذ قال : « ... ولكننا اذا أخذنا بالرأى القائل بجهل الملك أؤفا بحقيقة مضمون نقوش عبارات التوحيد الاسلامية على الدينار ، فان الحال يختلف تماما بالنسبة لكبار المسئولين من رجال الكنيسة والعلمانيين فى مختلف الادارات الدينية والمدنية ، اذ لا يمكن القول بجهلهم هم ايضا ، وعدم تفهمهم مضمون تلك العبارات » وخطورتها (٢٠) * وجدير بالذكر أن المؤرخ بلنت بعد أن انتقد الرأى الانف الذكر ، خرج برأى آخر جديد فى صدد تبرير ضرب هذا الدينار ، قال : « ... الثابت أن الدنانير العربية قد سادت عرش التجارة العالمية غرب البحر المتوسط ، ولعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة هدف الملك أؤفا من ضرب هذا الدينار ، فان من

ولعلنا نجد فيما سبق ما ينفى القول بقبول البابا منحة القديس بطرس المقدمة من أؤفا كما يقولون بمثل هذا الدينار الاسلامى السمات ككل ، انظر :

Schlumberger, op. cit., pp. 130 - 140; Lavoix, H., Monnaies
a Legendes Arabes frappees en Syrie par Les Croises,
Paris 1877, pp. 40 ff; Balog (p.) et Yvon (J.), Monnaies
a Legendes Arabes de L'Orient Latin, (cf. La Revue
Numismatique, 6 eme Serie, T. 1, 1958), p. 137 ff.

Blunt, op. cit., p. 51.

(٢٠)

الافضل الاخذ بالرأى القائل بأن الضرب كان من أجل التعامل به فى التجارة الخارجية « مع المسلمين بالطبع » (٣) .

هذا ، وقبل مناقشة مدى صحة رأى بلنت الآنف الذكر ، فمن الاهمية بمكان الاشارة الى أن الدينار الاسلامى أو المنقوش *mancus* كما عرفه الغربيون ، كانت له قيمته ، وكان يتصدر عرش المعاملات التجارية فى العالم الوسيط ، بسبب ارتفاع وزنة ونقاء عياره قياسا بغيره من الدينار اللاتينية المقلدة له . ورغم المحاولات التى بذلت لتقليده ، فالثابت أن التجار المسلمين وكذلك كبار التجار الايطاليين رفضوا التعامل بغير الدينار الاسلامية الاصلية المضمونة العيار والوزن . لذا ، اضطر كافة تجار أوروبا ، وبالمثل التجار الانجلوساكسون الى التعامل بالدينار الاسلامية دون غيرها ، ومن ثم فلم يكن هناك داع يدعو الملك أوفيا لضرب ديناره هذا من أجل التجارة كما يقولون . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ينتفى الاخذ بما قاله بلنت فى هذا الشأن . وآية ذلك ، ما ذكره «موريس لومبار» فى سياق حديثه عن أهمية الدينار الاسلامية الاصلية ، وتفضيل التجار الانجليز وغيرهم من الافرنج التعامل بها مع التجار المسلمين وعدم التعامل بمثيلاتها المقلدة الاوربية الضرب ، اذ قال : « ... أن هذه السكة المقلدة لم تكن على نطاق واسع ، لان الذهب القادم من البلاد الاسلامية الى الغرب الاوربى كان فى صورة نقود مسكوكة ،

فأستخدمته أوروبا البربرية كما هو ، واستخدمته فى دفع ثمن الواردات من الاسواق الخارجية سواء أكانت من الاسواق الاسلامية ، أو أسواق روسيا « امارة كييف أو أسواق البندقية وبيزنطة » (٢٢) .

ان أحدا لا ينكر قوة التواجد الاسلامى التجارى فى أغلب دول أوروبا بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية فى العصور الوسطى منذ نهاية القرن السابع الميلادى ، بدليل اكتشاف العديد من العملات الاسلامية ، فضلا عن تأكيد المراجع لهيمنة الدينار الاسلامى المعروف بالمنقوش على عرش التجارة العالمية ، على حساب الصلدى *Soldus* الذهبى الذى توقف استخدامه فى أوروبا الغربية بما فيها انجلترا الانجلوساكسونية ، منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى / النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى (٢٣) ، مما يؤكد عظم وقوة أثر التواجد الاسلامى التجارى فى أوروبا الغربية بعمامة ، وانجلترا الانجلوساكسونية ابان عهد الملك أوفا بخاصة .

(٢٢) لومبار (موريس) : « الاسس النقدية للسيادة الاقتصادية ، الذهب الاسلامى منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى » ، المقالة الثانية فى كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢٣) فى هذا الشأن ، وللمزيد عن هيمنة التجار المسلمين والدينار الاسلامى على عرش التجارة العالمية فى العصور الوسطى ، وتواجدهم فى أوروبا وانجلترا انظر : لومبار : السابق ، ٧٣ - ٧٨ ، وايضا : Atiya, op. cit., pp. 167 - 169.

ولما كان الاوربيون يفضلون التعامل مع التجار المسلمين بالدنانير الاسلامية الاصلية بسبب رفض الاخيرين التعامل بغيرها ، لذا ينتفى الاخذ بالرأى القائل بأن أوفاً قد سكت ديناراً من أجل التعامل به فى التجارة الخارجية • ويلاحظ أن بلغت نفسه قد عاد وشكك فى رأيه السابق ، اذ قال بأنه قد « رجّح هذا الرأى (أى أن السك كان من أجل التعامل التجارى فى الخارج) لعدم وجود دليل واضح يحسم أمر حقيقة ضرب هذا الدينار » ، وأخيراً عاد بلغت ونفى احتمال الاخذ برأيه السابق ، حيث خرج علينا برأى آخر مردود أيضاً ، ويتناقض كلية مع ما قاله من قبل ، اذ قال : « ... الا أن احتمال القول بأن الملك أوفا قد ضرب هذا الدينار لاغراض دعائية خاصة ، يجب أن ينظر اليه بعين الاعتبار » (٢٤) • دون أن يذكر المقصود بقوله بأن الضرب كان « لاغراض دعائية خاصة » • ولعلنا على ضوء ما سبق ذكره عن أمجاد الملك أوفا وانجازاته الهائلة فى شتى نواحي الحياة فى انجلترا ، فضلاً عن شهرته التى جابت الافاق كرجل دولة ودبلوماسى محنك من ناحية ، ورهبة شارلمان والبابوية منه ، واعتراف الاول بعظمته ومعاملته له معاملة الند للند من ناحية أخرى ، نجد لدينا ما يؤكد عدم حاجة أوفاً للدعاية بمفهومها المعروف أما اذا كان بلغت يئصد — دون الافصاح

عما فى قراره نفسه خوفا من الكنيسة — الدعاية من أجل اعلان أوفًا
اعتناقه الاسلام جهاز نهارا ، فهذا هو التفسير المنطقى الذى يجب
أن نأخذ به وحده دون غيره ، وان صح هذا الرأى ، فاننا نكون
قد أضفنا دليلا جديدا يؤكد صحة ترجيحنا اعتناق أوفًا الاسلام
من جهة ، وكراهية البابوية ورجال الكنيسة وشارلمان له ، وتخطيطهم
للتخلص منه من جهة أخرى كما أسلفنا •

وهنا ثمة تساؤل يلوح فى الأفق ملوحا بطلب الاجابة ، وأعنى
اذا كان أوفًا فعلا قد اعتنق الاسلام ، فكيف تم ذلك ؟ وعن أى سبيل
وصلت الى مسامعه الدعوة لاعتناقه ؟ • قبل الاجابة يجب أن نعرف
بإحدى ذى بدء أن الاكتشافات الاثرية قد أكدت عمق جذور العلاقات
التجارية بين الشرق الادنى الاسلامى والقارة الاوربية بعامة ،
وشمال أوربا وانجلترا بصفة خاصة ، ليس منذ نهاية القرن السابع
الميلادى كما أسلفنا فحسب ، بل انها كانت أعمق جذورا من تلك الفترة
كذلك • وأعنى أن المصادر والمراجع تؤكد أن البريطانيين كانوا على
صلة تجارية بالشرق فى العصر الرومانى حيث استوردوا البردى
ودهان البلسم والقرفة والزنجبيل والعطور والبخور من مصر وبلاد
الشرق بعامة (٢٥) • وبالقطف لا بد أن تلك العلاقات قد ازدادت قوة
ونمت بين الشرق وبريطانيا بعد ظهور الاسلام وانتشاره من جانب ،

Richmond, I. A., Roman Britain, London 1971, p. 180. (٢٥)

والمزيد عن نشاط بريطانيا التجارى مع الشرق وكافة دول حوض
البحر الابيض المتوسط فى العصر الرومانى ، انظر ١٢٠ والحواشى ،
وأىضا أنظر :

Richmond, op. cit., pp. 142 - 185.

وبعد قدوم الانجلوساكسون اليها ، واقامة ممالكهم كما أسلفنا بصفة عامة ، وفى عصر الملك أوفًا بخاصة من جانب آخر • اذ الثابت أن تلك العلاقات قد قويت وازدهرت فيما بين انجلترا وبين الخلافة العباسية فى تلك الآونة ، ولابد أنه كان هناك تبادل للسفارات فضلا عن التبادل التجارى ، الذى استتبعه قدوم التجار العرب الى انجلترا لادارة أمور تجارتهم وتصفية حساباتهم المختلفة ، حاملين معهم كافة أنواع السلع الشرقية ، ثم عودتهم أدراجهم الى بلادهم حاملين معهم ثمتى أنواع البضائع والسلع الانجليزية والأوربية • ولاشك أن منافسة أوفًا شارلمان على السيادة آنذاك وشعوره بأنه ند قوى له قد جعل الاول يحذو حذو الأخير بتعميق روابطه التجارية فضلا عن علاقاته السياسية مع العباسيين ، تلك العلاقات التى قويت وأواصرها بصفة خاصة أيام خلافة هارون الرشيد ، والذى أكدت المصادر قوة علاقات شارلمان معه ، وتبادله واياها الهدايا والسفارات المختلفة (٢٦) • يؤيد ذلك رأى ، رأى آخر مشابه ذكره فرانك سقنتون ، اذ انه أشار الى أن سمات دينار الملك أوفًا الاسلامية العباسية الطراز « تؤكد بقوة وجود علاقات تجارية

(٢٦) عن قوة علاقات شارلمان بهارون الرشيد وتبادلها الهدايا والسفارات
انظر :

Einhard & Notter the Stammerer, Two Lives of Charlemagne, trans. with an Introduction by Lewis Thrope, London 1974, pp. 70., 143 - 149.

وطيدة فيما بين انجلترا والخلافة العباسية فى عصر الملك أوفى « (٢٧) ، مما يحتم تواجد نوع من تبادل السفارت والمبعوثين الرسميين مع الخلافة العباسية ، لتقوية روابط انجلترا والعلاقات التجارية فيما بينها وبين الخلافة العباسية ، فضلا عن تشجيع التبادل التجارى بين الطرفين ، مع احتمال كبير لعقد هؤلاء المبعوثين عدة اتفاقيات تجارية مع انجلترا على نمط تلك التى عقدها أوفى مع شارلمان كما ذكرنا من قبل • اضافة الى ذلك يمكن القول بتدفق التجار المسلمين بسفنهم ، وانطلاقهم فى أنحاء المدن والموانى الانجليزية زرافات ووحدا لبيع مامعهم وشراء ما يحتاجون اليه •

هذا ، ولما كان التجار المسلمون ليسوا مجرد تجار فحسب بل كانوا دعاة اسلاميين فى نفس الوقت وعلى علم تام بكافة الامور الفقهية وأصول الدعوة والشريعة الاسلامية ككل ، فضلا عما اتسموا به من حسن خلق وسلوك قويم واستقامة وأمانة ، لذا كانوا بحق خير مثال يمثل المسلم القدوة فأعطوا المجتمعات التى تاجروا معها

(٢٧) عزى ستنتون ضرب دينار الملك أوفى المشهور ، الى قوة علاقاته التجارية بالعباسيين ، وقال أن تلك العلاقات « قد بررت انتاج الملك أوفى لعملة ذهبية يمكن تدلولها فى الاسواق ، بحيث تكون مقبولة لدى التجار المسلمين بالقطع حتى يقبلوا التعامل بها ، الا ان هذا الرأى قد سبق أن تناولناه وأكدنا خطأه • انظر ما سبق ص ١١٨ — ١٢٢ والحوالى ، أنظر :

Stenton, op. cit., p. 223.

صوراً مشرقة عن الاسلام والمسلمين وسماحتهم ، ودعوها الى عبادة الواحد الاحد الفرد الصمد ، من منطلق ايمانهم بعالمية الدعوة الاسلامية ، وتيقنهم بأن هداية الناس الى الحق فرض ، على كل مسلم القيام به كلما استطاع الى ذلك سبيلاً ، أملاً في حصولهم على ما هو « خير ٠٠٠ من حمر النعم » (٢٨) واضعين نصب أعينهم قول الحق جل وعلا لرسوله الكريم ، بسم الله الرحمن الرحيم : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (سبأ — ٢٨) ، وقوله جلّ جلالته قدرته

(٢٨) في يوم خيبر أعطى الرسول ﷺ الراية الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبعد أن بشره بالفتح ، طالبه بالسير اليهم بأدب وأناة ، ثم بدعوتهم الى الاسلام بعد أن يوضح لهم حقوق ومعنى عبادة التوحيد (لا اله الا الله) ، ثم اختتم صلوات الله وسلامه عليه حديثه الى على بقوله « ٠٠٠ فوالله لان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » . وحمر النعم بسكون الميم وضم الحاء تعنى الابل الحمر ، وهى أنفس الثروات عند العرب . وفى الحديث ترغيب وحث على الدعوة الى الله ، ليحصل الذاعى الى الوجدانية على هذه الفضيلة العظيمة . أنظر نص الحديث فى صحيح البخارى ، (باب غزوة خيبر) ، طبعة الشعب ، القاهرة (بدون تاريخ) ج ٥ ، ص ١٧١ ، صحيح مسلم ، (باب من فضائل على رضى الله عنه) ، طبعة عيسى الطبى ، القاهرة (بدون تاريخ) ج ٢ ، ص ٣٦١ ، محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات حفيده تحت عنوان (قرة عيون الموحدين فى تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين) ، (حساب الدعاء الى شهادة أن لا اله الا الله) ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٣٥ - ٤١ والحواشى .

بسم الله الرحمن الرحيم : « يا أيها النبي انّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا » (الاحزاب ٤٥ - ٤٦) ، وآية ذلك الرأى انتشار الاسلام بفضل جهود هؤلاء التجار الدعاة فى بلدان وجزر جنوب شرق آسيا والمحيط الهندى ، فضلا عن بلاد شرق وغرب ووسط أفريقيا أيضا .

من هذا المنطلق ، ليس ثمة ما يمنع من وجود نوع من الاتصالات المباشرة بين بعض من كبار هؤلاء التجار المسلمين وبين أوفى ، ناقشوا خلالها معه مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية المنقوشة على الدينار العباسى بعد أن بهرته نقوشها ، فكان أن أوضح هؤلاء التجار الدعاة معانيها له مع عرضهم عليه فكرة اعتناق الاسلام ومناقشتهم اياه فى كافة الامور المتعلقة بطبيعة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومكانة أمه العذراء البتول الصديقة مريم رضى الله عنها ، مترسمين خطى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه مع النجاشى ملك الحبشة ، ونجاحه فى اقناعه باعتناق الاسلام (٢٩) ، فكان أن اقتنع الملك أوفى بالاسلام ، فأسلم وجهه لفاطر السموات والأرض . ولعله آمن به وحده أو مع أسرته وكبار معاونيه فى

(٢٩) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وزارة الثقافة والارشاد ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١٨ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ١٩٧٥ ، ص ٢٨ - ٣٠ .

بداية الامر ، مع كتمه الامر سرا الى حين اصداره أوامره بسك تلك العملة الذهبية ، والتي احتار المؤرخون الحديثون فى تفسير أسباب سكها • هذا ، ومن الممكن القول باحتمال أن بعض أفراد السفارات المتبادلة فيما بين الخلافة العباسية وبين الملك أؤفا قد عرضوا عليه فكرة اعتناق الاسلام ، فأمن بعد اقتناع ، ومن تم كان نقش اسمه مع عبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله) على ديناره هذا من جهة فضلا عن قراراته برفع شارة الصليب وصورته من نقوش عملاته من جهة أخرى ، محصلة طبيعية لاقتناعه هذا •

مهما يكن من أمر ، وسواء صح هذا الترجيح أم ذاك ، يمكننا هاهنا الاخذ بالرأى القائل بأن أؤفا أصدر ديناره هذا « اشباعا لحالة نفسية انتابته وتحقيقا لرغبة جامحة سيطرت عليه » (٣٠) • ولعل صاحب هذا الرأى قد اقتنع فى قرارة نفسه باعتناق أؤفا الاسلام ، الا أن ضغوط الكنيسة والتعصب الاعمى ضد الاسلام جعله لا يلتزم بالحيدة الواجب توافرها فى المؤرخ المنصف ، مما حال بينه وبين البوح بمكنون صدره •

هذا ويحضرنى فى هذا الصدد الاشارة الى أن هناك مؤرخا

من أشهر مؤرخى أوروبا فى العصور الوسطى ، فضلا عن تعمقه فى تاريخ الحضارة الاسلامية * قد تناول تاريخ العلاقات التجارية بين المسلمين والغرب الاوربى الوسيط ، فأورد ما يؤكد تربع العملة العربية على عرش التجارة العالمية آنذاك ، لدرجة أن ملوك أوروبا قلدوها ، ضاربا المثل بدينار الملك أوفا فقال : « ٠٠٠ ان العملة الذهبية المشهورة التى ضربها الملك أوفا ملك مرسيا (٧٥٧ — ٧٩٦م) قد نقش على أحد وجهيها اسمه باللغة اللاتينية من اليمين الى اليسار OFFA REX على طراز الكتابة العربية ، أما الوجه الآخر فقد حمل نقشا عربيا ، وهذه العملة تعد تقليدا واضحا للدينار العربى ، مما يؤكد قوة نفوذ وهيمنة التجار العرب وعملتهم على عرش التجارة العالمية فى تلك الآونة » (٣١) .

. والغريب الملاحظ فى تلك الرواية أننا اذا كنا نلتمس الاعذار للمؤرخين الغربيين على اختلاف جنسياتهم أو عقائدهم لعدم المامهم باللغة العربية ، رغم امكانية تفسيرهم لمعانى نقوش الدينار بطريقة أو بأخرى كما أسلفنا ، الا أن الحال هاهنا يختلف كلية ، فصاحب تلك العبارة يجيد العربية الفصحى كتابة وقراءة ، بل وعلى علم تام بما جاء فى الكتاب والسنة بحكم تخصصه فى دراسة تاريخ الحضارة الاسلامية * ومن ثم لا يعقل بأى حال من الاحوال أن يكون قد عجز

عن تفسير مفهوم عبارات التوحيد الاسلامية (لا اله الا الله وحده لا شريك له — محمد رسول الله) المنقوشة على وجهى الدينار . كذلك نستبعد عدم قدرته على السفر الى انجلترا والاطلاع على نسخة الدينار الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطانى ، مما يشير الى دلالات هامة لها مغزاها الكبير فى صدد تبرير سك أوفا لهذا الدينار . ولاشك أن هناك أحد احتمالين لا ثالث لهما ألا وهما : اما أن يكون صاحب تلك الرواية قد نسى الاشارة الى مدلول عبارات التوحيد الاسلامية أو تناساها . والاحتمال الاول مرفوض تماما لالمامه بلغة الضاد كما أوضحنا ، أما الاحتمال الثانى فهو الاكثر ترجيحاً ، ولعله قد اقتنع فى قرارة نفسه باعتناق أوفا الاسلام ، ولكن لعدم وجود نص صريح من أى من المصادر أو الوثائق فى متناول يده يؤكد ذلك ، تعتمد تجاهل الاشارة الى مفهوم تلك العبارات الى حين حصوله على ما يدعم به رأيه . وخلاصة القول وسواء أكان أى من الاحتمالين صحيحاً أم غير صحيح ، فما لاشك فيه أن عدم اشارته فى حد ذاتها تؤكد صحة ما وصلنا اليه من ترجيح اعتناق أوفا الاسلام ويضيف جديداً اليه (٣٢) .

(٣٢) جدير بالذكر أن صاحب الرواية المذكورة عالياً ، عند اشارته الى حركة الجهاد المقدس لدى المسلمين ، قد أورد عبارة مؤداها احترام النبى محمد ﷺ « الانبياء السابقين ، ولم يفكر الاسلام تعاليمهم أو كتبهم المقدسة » ، ثم استطرد مشيراً الى التحريف الذى أدخل على التوراة والانجيل ، واختتم عبارته مشيراً الى حتمية زيارته =

المسلم للاماكن المقدسة ، ثم ذكر حديثا للرسول ﷺ بطريقة مشوهة
لها دلالاتها الخطيرة اذ قال « ويؤكد احد المؤلفين أن صلاة واحدة
نقام في المسجد الاقصى تعادل الف صلاة في غيره من المساجد »
ولا شك انه اخذ حديثا رواه ابو هريرة وعائشة رضى الله عنهما
وكتبه بالصورة النى اشرنا اليها • وصحة الحديث • قال رسول الله
ﷺ - وليس احد المؤلفين كما قال - « صلاة في مسجدي خير من
الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الاقصى » •

انظر : المنذرى الترغيب والترهيب ، مكتبة الدعوة الاسلامية
القاهرة ، بدون تاريخ ، ج٢ (باب الترغيب فى الصلاة فى المسجد
الحرام ومسجد المدينة وبيت المقدس) حديث رقم ١٣ ، ص ١٣٨ ،
انظر :

Atiya, op. cit., p. 133.

— ١٣١ —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وقد مكروا مكروهم ، وعند الله مكروهم ، وان كان
مكروهم لتزول منه الجبال »

(ابراهيم : ٤٦)

الفصل الثالث

— ١٣٣ —

سور أوفًا العظيم ودلالاته (٧٨٤ — ٧٩٦ م)

- تخطيط وطبوغرافية السور •
- حروب أوفًا ضد البريطانيين فى ويلز ، ونتائجها •
- مختلف الآراء حول أسباب البناء ، ودلالاتها •
- اهمال المصادر والمراجع الاشارة الى ظروف موت الملك أوفًا المفاجيء ، ومكان دفنه ، ودلالاته •
- محاولة الملك حنا (جون) اعتناق الاسلام ، ترسما لخطى الملك أوفًا من قبله ، ودلالاتها ونتائجها •

على امتداد الفصلين السابقين ، وبعد أن استعرضنا جهود رجل السياسة والحروب أوفثا ، التى بذلها فى الحقل الدبلوماسى والميدان العسكرى على امتداد عصره (٧٥٧ - ٧٩٦م) ، من أجل توحيد الممالك الأنجلوساكسونية تحت قيادته، وردود فعل البابوية وشارلمان المضادة ، وكراهيتهما له بسبب اعتناقه الاسلام كما رجحنا من جهة ، وبعد ان أمطنا اللثام عن دوره الحضارى كرجل دولة ومصلح اجتماعى ، بالاشارة الى الجهود التى بذلها للنهوض بالتجارة والثقافة والتعليم والجيش ، فضلا عن اصلاحاته التشريعية والمالية التى أنجزها ، رفعا لمستوى معيشة الانجليز ، وحماية لمكاسبهم السياسية والاقتصادية التى حصلوا عليها فى عهده من جهة أخرى ، ينبغى أن نتناول بالدراسة هاهنا أهم سمات علاقات أوفثا بالبريطانيين فى ويلز Wales ، من خلال الاشارة الى سوره العظيم الذى أقامه على حدوده معهم ودلالاته الهامة ، لما فى ذلك من أهميته فى كشف بعض جوانب البحث الغامضة ، وسد فجواته .

فمن الملاحظ أن الملك أوفثا قد أقام سورا ضخما على امتداد حدوده مع ويلز ، اصطلاح المؤرخون على تعريفه باسم سور أو خندق الملك أوفثا OFFA'S DYKE ويعتبر هذا السور من وجهة النظر الهندسية أعظم عمل انشائى أقيم على سطح الأرض فى أوروبا على امتداد تاريخها القديم والوسيط .

وللأسف الشديد ، وكما هي العادة بالنسبة لوثائق عصر الملك أوفثا التي ضاعت ، لم ترد عن هذا السور أية إشارة تذكر في أى من المصادر المعاصرة * ولولا إشارة عابرة ذكرها الراهب الويلزي أسر Asser كاتب سيرة الملك ألفريد العظيم *Life of King Alfred* (٨٧١ — ٨٩٩م) ، أوردتها وفي كتاباته بعد مائة عام من وفاة الملك أوفثا ، ما عرفنا شيئا ألبتة عن بناء أوفثا لهذا السور العظيم ، قال أسر : « لقد أقام الملك أوفثا سورا عظيما *Vallum Magnum* من البحر الى البحر فيما بين بريطانيا (يعنى ويلز) ومرسيا » (١) * هذا ، ولقد احتار المؤرخون كدأبهم وعجزوا أمام « شخصية أوفثا الغامضة » عن تبرير أسباب بناء أوفثا لهذا السور الضخم ، الذى يؤكد عظمة وقوة هذا الملك واهتمامه بالعمران والبناء من جانب ، ومن جانب آخر يؤكد مدى الرفاهية والثروة التى تمتع بها الشعب الانجليزى فى عصره * وأخيرا ، وبعد طول حيرة وعجز ، اتفق على أنه قد أقيم نتيجة اتفاق سلام ، ليكون بمثابة علامة توضح

(١) يلاحظ ان الراهب أسر هو أيضا رغم مكانته العلمية والدينية ، لم يشير ألبتة الى أسباب بناء السور ، ولعل السبب فى ذلك أوامر البابوية الصارمة بعدم الاشارة من قريب أو بعيد لانجازات الملك أوفثا ، مما يؤكد ما وصلنا اليه من اراء حول أسباب البناء الحقيقية كما سنذكرها فى حينه * انظر :

Asser, *Life of King Alfred*, ed. W. H., Stevenson, Oxford 1904, 14, p. 12; Roger de Hoveden, I, p. 19 & n. 64; cf. also: Sh. Camb. Med. Hist., 1, p. 387.

ملاحح الحدود المتفق عليها فيما بين مرسيا الانجليزية وويلز البريطانية • واعتمد القائلون بهذا الرأي على الفتحات ولا أقول الأبواب — العديدة التى كانت تتخلله (٢) •

هذا ، ويبلغ طول السور مائتين وواحدا وأربعين كيلو مترا تقريبا ، ولقد تم اكتشاف حوالى مائة وتسعة وعشرين كيلو مترا منه أفادت فى تحديد ملامحه الحقيقية الى حد بعيد • وهو عبارة عن خندق عمقه ستة أقدام ، أى حوالى مترين يوجد فى الناحية الغربية المطلة على ويلز ، وأعلاه من جهة الشرق (أى من جهة مرسيا) يوجد سور ارتفاعه خمسة وعشرون قدما أى حوالى ثمانية أمتار • ومن ثم فإن الذى يريد عبور السور من ناحية الغرب الى الشرق ، عليه أن يتسلق ويتخطى حوالى ستة وخمسين قدما أى سبعة عشر مترا تقريبا وهى تمثل عمق الخندق وارتفاع السور من كلا الجانبين (٣) ويمتد السور من شرقى مصب نهر واي Wye جنوبا بالقرب

(٢) Wormald, p. The Anglo - Saxon, ed. J. Cambell, Phaidon Press, 1980, Chapter V, «The Age of OFFA & Alcuin», p. 119.

(٣) بدأت أولى مراحل دراسة هذا السور عام ١٩٢٠م بواسطة سيرسيريل فوكس Sir Cyril Fox واستمرت الدراسات حتى عام ١٩٣١م ، بعدها ازداد اهتمام الاثريين بدراسة السور ، خاصة بعد أن نشر فوكس أبحاثه عام ١٩٥٥م ، ووفق على تقريره فى هذا الشأن • الا أن جامعة مانشيستر أجرت أبحاثا أخرى على

من قنطرة سولرز Sollers ، متجها شمالا عبر مناطق جبلية بلغ ارتفاعها في بعض المناطق ألفا وأربعمائة قدم عن سطح البحر تقريبا، حيث يتلاشى البناء ، وبعدها يظهر السور من جديد بالقرب من فلنتشير Flintshire ، متجها ناحية الشمال حيث ينتهي عند باسينجورك Basingwerk على نهر دي Dee ، مكونا ما يشبه السد المنيع فيما بين حدود ويلز ومرسيا (٤) .

هذا ، من السرد السابق لأهم سمات أوفّا ذى الخندق ينتفى الأخذ بالرأى القائل ببنائه طبقا لاتفاق سلام بين مرسيا وويلز ، بدليل وجود عدد من الفتحات فى السور (٥) . اذ ان الوصف التفصيلى السابق للسور يؤكد أنه بنى من أجل منع أهالى ويلز من عبوره كلية ، أو على الأقل تعويقهم لحين قدوم القوات الانجليزية لمواجهةهم وطردهم ، وبالأحرى بنى السور من أجل أغراض عسكرية

.....

=

السور عام ١٩٧٢م ، وبناء عليها رفضت تقرير فوكس ، وازداد الامر تعقيدا . ولقد تلخص تقرير الجامعة فى أن البناء قد تم من أجل توطيد العلاقات السلمية بين مرسيا وويلز . لكن الرأى مردود لاسباب سنذكرها فى حينها عند مناقشة كافة التبريرات التى قيلت فى صدد بناء السور . فى هذ الشأن ، وللمزيد عن أبعاد السور وطبوغرافية البلاد التى يمر بها انظر :

Wormald, op. cit., pp. 120 - 121; Stenton, op. cit., pp. 212 - 215; A. A. E., p. 353; O. C. L., p. 265. cf. also: Moinddin, M., «Did OFFA Accept the Faith of Islam», ed. Ta Ha Publishers, London (N. D.), p. 2.

وليست سلمية كما قيل • وللأسف لا توجد أدلة قاطعة تحدد تاريخ البناء من جهة ، ومن جهة أخرى لا توجد أى إشارة من قريب أو بعيد توضح الأسباب التى حدثت بالملك أوفًا الى بناء هذا السور ، مما أوقع المؤرخين فى حيرة ، وأدى الى تضارب وتعدد مقولاتهم حول أسباب البناء •

لاغرو أن أسباب البناء قد بلغت حدا من الخطورة لدرجة تصميم الملك أوفًا على بنائه رغم تكاليفه المالية الباهظة ، فضلا عن العرق والدم والجهود التى بذلت من أجل اتمامه • وتؤكد الشواهد التاريخية على ضوء ما جاء بالمصادر أن البناء قد تم أثناء فترات السلم التى سادت علاقات أوفًا بالبريطانيين فى ويلز ، أى على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٤م حتى عام ٧٩٦م • اذ لا يعقل أن يكون البناء قد تم إبان فترات العداء المستحكمة فيما بينهم ، ومن ثم ينتفى القول باقمة السور نتيجة اتفاق سلام تم بين الطرفين كما ذكرنا آنفا • وآية ذلك أن جولييات ويلز قد أشارت الى حدوث معركة فيما بين ويلز والملك أوفًا بالقرب من بلدة هيرفورد Hereford عام ٧٦٠م ، دون أن تذكر تلك المصادر النتائج التى تمخضت عن المعركة من جهة ، كما أوردت نفس المصادر رواية أخرى تؤكد اكتساح الانجليز بلدة دايفيد Dyfed عام ٧٧٨م بقيادة

Stenton, op. cit., pp. 214 - 215, Wormald, op. cit., p. 119. (٤)

Wormald, op. cit., p. 119. (٥)

الملك أوفًا من جهة أخرى ، وكذلك أشارت نفس المصادر الى مهاجمة أوفًا « منطقة ما فى ويلز عام ٧٨٤م » من جهة ثالثة (٦) . أما فترة السنوات الساقطة فى منتصف المدة الممتدة بين عام ٧٦٠ وعام ٧٨٤م ، فقد كان أوفًا مشغولا فيها بحروبه التوسعية من أجل توحيد الأمة الانجليزية كما أسلفنا ، مما يصعب معه القول باتمام البناء أثناء تلك الفترة ، لانشغاله بتلك الحروب من ناحية واعتمادا على عدم ورود ما يؤكد نشوب معارك بين الطرفين فى الحوليات الويلزية من ناحية أخرى ، فضلا عن أن نفس المصادر قد أشارت الى قيام أوفًا بمهاجمة « دايفيد للمرة الثانية عام ٧٩٦م » قبل وفاته بقليل من ناحية ثالثة (٧) .

والخلاصة ، وبناء على ما جاء فى الحوليات الويلزية ، يمكن القول بلا تحفظ بأن الملك أوفًا قد قام ببناء هذا السور فى فترة السلم التى سادت علاقاته مع ويلز ، أى على امتداد السنوات الممتدة من عام ٧٨٤م حتى عام ٧٩٦م .

هذا ، والى جانب رأى القائل ببناء أوفًا للسور نتيجة اتفاق سلام بينه وبين ويلز ، والذى أوضحنا خطأه من قبل ، توجد آراء أخرى لمجموعة من المؤرخين مخالفة تماما لهذا الرأى فهناك من يقول

Stenton, op. cit., pp. 214 - 215.

(٦)

Stenton, op. cit., p. 215.

(٧)

بأن السور قد بنى « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالى ويلز » (٨) ، ورأى آخر يرجح بأنه بنى « كاجراء وقائى ضد اغارات السوائم أو الرعاع ! » (٩) .

هذا ، وبمناقشة رأى الأول ، يلاحظ أن أصحابه لم يعضدوه بالمصادر التى تؤكد ، ولكننا على ضوء ما سبق ذكره عن أهم سمات العلاقات بين أوفًا وبقية الممالك الأنجلوساكسونية وأهالى ويلز ، اتضح لنا أن المصادر الويلزية لم تشر لأى هجوم قام به الويلزيون ضد مرسيا على امتداد عصر الملك أوفًا (٧٥٧ — ٧٩٦ م) ، بينما نفس المصادر — وكما بيّنا من قبل — قد أشارت الى هجمات أوفًا على ويلز أى أن الأخطار كانت تفد دوما من قبل مرسيا ضد ويلز وليس العكس ، من ثم فان هذا رأى مرفوض وغير مقبول . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يمكن تبرير البناء على أساس أنه تم لدراء احتمالات أخطار ينتظر قدومها عبر حدود ويلز بتحريض وتخطيط البابوية ، وأعنى بذلك القول باحتمال وجود اتفاق عقد بين البابوية وويلز كما أسلفنا حين أشرنا الى اتفاق البابوية مع اثلبرهت ملك أيسست أنجليا ، مؤداه سماح ويلز لندوبى البابوية

(٨) انظر :

Stenton, op. cit., p. 213f.; Cyrill, op. cit., p. 56; A.E., vol. 14, p. 353; O. C. E. L., p. 562; D. U., p. 1383.

Sh. Camb Med. Hist., 1, p. 180.

(٩)

بدخول مرسيا خلصة عبر ويلز لاعادة التبشير بالمسيحية ، واثارة النفوس ضد أوفًا للثورة عليه واسقاطه، فضلا عن مهاجمة ويلز لمرسيا فى نفس الوقت الذى يقوم فيه ايتلبرهت صاحب ايسټ أنجلينا بالهجوم وحصر أوفًا من الشرق والغرب للقضاء عليه ، بسبب أعماله التى هددت العقيدة المسيحية واضطرت البابوية لارسال بعثة عام ٧٨٦م « لاعادة تجديد العقيدة وتثبيتها فى النفوس » كما أشرنا من قبل (١٠) ولكن يبدو أن الويلزيين قد رفضوا فكرة الهجوم لاقتناعهم باستحالة هزيمة أوفًا لضعف قواهم قياسا الى «قوة الملك أوفًا الرهيبة» (١١)، حسبما وصفها شارلمان . يؤيد ذلك الرأى عدم اشارة المصادر الويلزية لأى هجوم ضد مرسيا كما أسلفنا ، فى نفس الوقت الذى سمح فيه الويلزيون لأعوان البابوية بالعبور الى مرسيا للدعاية المعرصة ضد أوفًا ، وتسفيه أفكاره ومعتقداته الجديد ، فكان أن قام الملك أوفًا بالشروع فى بناء هذا السور لتعويق عبور هؤلاء الأعوان ، يؤيد ذلك الرأى تلك الهجمات المتقطعة التى تأن يقوم بها أوفًا من حين لآخر ضد مدن ويلز ، اذا شعر بخطورة أعوان البابوية ، وذلك كجرس انذار منه لأهالى ويلز وتحذيرهم بعدم السماح لأعوان البابوية بالعبور الى مرسيا أو حمايتهم فى ويلز . وهكذا ، وعلى ضوء ما سبق

(١٠) أنظر ما سبق ٧٧ - ٨٥ من الفصل الاول .

Stenton, op. cit., p. 95.

(١١)

نقول بلا تحفظ باستحالة قبول الرأي القائل باقامة السور « من أجل حماية مرسيا من أخطار غزوات أهالي ويلز ، » كما ذكرت بعض المراجع المعنية •

أما الرأي الآخر القائل ببناء السور « كاجراء وقائي ضد اغارات السوائم أو الرعاع » فهو رأي غريب ومرفوض جملة وتفصيلا • اذ ان أى انسان متوسط الذكاء ، لا يمكنه قبول مثل هذا التبرير الذى يرفضه العقل والواقع ، فهل يعقل أن ملكا مثل أوفّا الذى شهدت كافة المصادر والمراجع بفطنته وكياسته ، يقوم ببناء مثل هذا السور الذى كلفه أموالا لا حصر لها ، من أجل حماية بلاده من اغارات الأنعام أو السفلة ! وماهى أخطار تلك السوائم أو الرعاع ؟ هل الاجهاز على الحشائش الخضراء أو نهبها وسلبها من مرسيا ؟ !! أم أنها سوائم عسكرية مسلحة تقودها جماعات من الرعاع الرجالة والفرسان ؟ ! • ان أى باحث منصف ومدقق لا يمكن الا أن يرفض هذا الرأي شكلا وموضوعا ، ومن ثم فان عليه أن يأخذ بالتفسير المنطقى الذى وصلنا اليه ، ألا وهو القول ببناء أوفّا لهذا السور لمنع مندوبى البابوية من دخول مرسيا للتحريض على الثورة ضده وذلك تطبيقا للاتفاق الذى تم بين البابوية وأهالي ويلز لمهاجمته والخلاص منه ومن أفكاره المعادية للكنيسة الرومانية الى الأبد كما أسلفنا •

وأخيرا ثمة ملاحظة هامة ينبغي الإشارة إليها ،
 إذ أن من الغريب والملاحظ أن كافة المصادر
 والوثائق لم تشر من قريب أو بعيد الى كيفية أو أسباب موت الملك
 أوفًا المفاجيء وهو فى قمة مجده ونفوذه يوم الجمعة ٢٩ يوليو
 ٧٩٦م / ١٧ جماد أول ١٨٠هـ ، اذا اكتفت الحوليات الأنجلوساكسونية
 بالإشارة فى عبارة مقتضبة الى « موت أوفًا فجأة فى عام
 ٧٩٦م » (١) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، يلاحظ أن الملك أوفًا دون
 غيره من الملوك الانجليز قد أهملت كافة المصادر والوثائق الإشارة
 الى مكان دفنه ، والذي كان من المفروض أن يكون — ان لم يكن قد
 اعتنق الاسلام بالفعل — داخل كاتدرائية أو كنيسة العاصمة الكبرى .
 ولكن الغريب وحسبما ذكرت المصادر المتأخره زمنيا أن الملك أوفًا

(١) اختلفت الحوليات فى تحديد تاريخ الوفاة : « حولية باركر » قالت
 فى عام ٧٩٦م ، « وحولية لود » قالت يوم ١٠ أغسطس ٧٩٦م ،
 أما حولية رقم ٥٠ التى نشرتها وايتلوك فى مجموعة الوثائق
 الانجليزية ، ج ١ ، حددته بيوم ٢٩ يوليو ٧٩٦م وهو التاريخ الذى
 اخذنا به عليه . ويلاحظ أن المؤرخ ستنتون قد ذكر التاريخ خطأ
 وحدده ٢٦ يوليو ٧٩٦م دون ذكر المصدر الذى أخذ عنه . انظر المصادر
 والمراجع الاتية :

The Laud Chronicle, p. 57 & n, 6.; the Parker Chronicle,
 p. 56. The Anglo - Saxon Chronicle, cf. E.H.D., vol. I,
 pp. 181 & n. 11, 182; cf. also: Roger de Hoveden, 1, p.
 30; Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; Matthew of
 Westminster, 1, pp. 382 - 383; Simeon of Durham, cf.
 E. H. D., vol. I, p. 274; cf. also: Stenton, op. cit., p. 224.

عندما توفي ، تم نقله الى بلدة صغيرة حيث دفن في مصلى صغير داخل مبنى متداع ، على حافة نهر مشهور بتياراته وفيضاناته الجارفة ، كما لو كان الذين دفنوه قد خططوا واختاروا هذا المكان عن عمد ، على أمل أن تجرف الفيضانات المبنى بمن فيه ، فيزول كل أثر للملك أوفيا ، حتى يصبح نسيا منسيا ، وهذا ما تم بالفعل ومن ثم يتأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدد ترجيح الملك أوفيا الاسلام .

لقد أشارت المصادر (٢) الى أن الروايات المتواترة على ألسنة الأهالي ، نقلا عن أجدادهم وأسلافهم المعاصرين للملك أوفيا تفيد أنه قدماء «عام ٧٩٦م في بلدة أوفلي Offley (٣) ، ثم نقل جسده الى بلدة بيدفورد Bedford الصغيرة (٤) ، حيث قبر في داخل مصلى صغير كائن بمبنى مجهول يقع خارج البلدة على الحافة المباشرة لنهر الأوسك the Usk (٥) . وهكذا أفادت وأكدت تلك الرواية الغامضة دفن

(٢) Roger of Wendover, 1, pp. 166 - 167; also: Matthew of Westminster, 1, pp. 382 - 383.

(٣) لم أجد لها تعريفا في أيمن المصادر أو المراجع المعنية . ولعلها كانت بلدة قديمة أقامها أوفيا ، وعرفت بهذا الاسم نسبة اليه ، ثم اندثرت على مر السنين ، أو لعل البابوية ورجال الكنيسة قد طمسوا معالمها وغيروا اسمها بآخر ، حتى يزول كل أثر للملك أوفيا قد يذكره الناس به .

(٤) بلدة صغيرة تقع في مقاطعة بيدفورد Bedfordshire على بعد خمسة وأربعين ميلا شمال غرب لندن . انظر : P. E. P., p. 85.

(٥) يقع في مقاطعة بيدفورد ، ويعرف اليوم باسم نهر أويس Ouse انظر : P. E. P., op. cit., loc. cit.

وأيضا انظر حاشية رقم (٢) عاليه .

الملك أوفًا بهذه الطريقة المشبوهة ، في مثل تلك البداة الصغيره ، داخل هذا المكان المجهول ، وليس داخل الكنيسة الكبرى بالعاصمة ، مما يرجح اعتناق هذا الملك العظيم للإسلام ، فنانت المحصلة محاربتة واثارة النفوس ضده للخلاص منه في الدنيا . ثم دفنه بعد وفاته بهذه الطريقة المشينة ، انتقاما منه حتى يزول هو وعقيدته الجديدة . فتنساة الأجيال المتعاقبة على مر السنين خشية أن يكون متالا يحتذى . فيكون الدمار للكنيسة الانجليزيه هو المحصلة الوحيدة لدرى هذا الرجل .

هذا ، وقد أثار نفس المصدر الى أن المقبرة قد أديها التمددع وأتلفها التسوس حتى انهارت مع المبنى وغارت شى أعماق النهر ، بفعل الفيضانات المدمرة على مر السنين ، « فكان أن بذلت جهود مضية من أجل اكتشاف مكان المقبرة ، واخراج جثة الملك أوفًا ، ولكن الأقدار أثبت أن تكمل تلك الجهود بالنجاح » (١) .

Roger of Wendover, 1, p. 166f.; Matthew of Westminster, (٦)
1, p. 383.

جدير بالذكر على سبيل المثال لا الحصر أن الملك ايثلبرت Aethelbert ملك كنت عند وفاته عام ٦١٦م ، دفن مع زوجته برثا Bertha في كنيسة القديس بطرس في كانتربوري تكريما لهما لنشرهما المسيحية في مملكته ومساعدته القديس أوجسطين في نشرها عند وصوله عام ٥٩٧م كما أسلفنا . وبالمثل دفن كيولريد Ceolred ملك مرسيا عام ٧١٩ في كنيسة العاصمة لينتشفيلد Lichfield كذلك كان الحال بالنسبة للملك ولفهير ملك مرسيا (ت ٦٧٤م) . مما يؤكد ما وصلنا اليه عن تعمد البابوية دفن أوفًا بهذه الطريقة المهيئة بسبب اعتناقه الاسلام . عن تكريم هؤلاء الملوك ، فضلا

من الأهمية بمكان التوقف هاهنا لحظة لمناقشة عبارة روجرأوف وندوفور الأخيرة تلك ، لأهميتها فيما نحن بصدده من كشف حقيقة اعتناق الملك أوفًا للإسلام . فالملاحظ أن روجرأوف وندوفور (ت ٦ مايو ١٢٣٧م) كان معاصرا للملك حنا (جون) John ملك إنجلترا (١١٩٩م — ١٢١٦م) ، وصاحب العهد الأعظم (الماكنكارتا Magna Carta المشهور ، وهو الذى أصدر أوامره بالبحث عن مقبرة الملك أوفًا ، وباعت جهوده بالفشل كما ذكرنا من قبل نقلا عن روجرأوف وندوفور . وهنا نتساءل لماذا أصدر الملك حنا قراره بالبحث عن مقبرة الملك أوفًا ؟ .

الراجع أن الملك حنا كان معجبا بشدة بشخصية الملك أوفًا ، ولعله قد احيط علما بالكثير من أسرار سيرته بعامة وموقفه من الاسلام بطريقة أو بأخرى من كبار رجال القصر وأفراد أسرته وغيرهم من رجال الكنيسة الانجليزية المنصفين بصفة خاصة . فكان أن أعجب به واتخذة مثلا يحتذى ، ومن ثم أصدر قراره السابق الذكر بالبحث عن مقبرته كما أفادنا شاهد العيان روجر ، لتكريمه ودفنه فى المكان اللائق به . ولا شك أن البابوية قد هالها قيام

عن غيرهم انظر :

Bede, op. cit. pp. 107, 108, 135, 182, 185, 334; Roger of Wendover, 1, p. 103; The Laud Chronicle, (E.), pp. 23, 35; The Parker Chronicle, (A.), pp. 22, 34.

جون بهذا العمل الذي اعتبرته معاديا للكنيسة الكاثوليكية ، وخشيت من أن ينقلب اعجاب جون بالملك أوفًا الى اتخاذ نفس الطريق واعتناقه الاسلام مثله ، ويبدو أن البابوية قد طالبت جون بالكف عن البحث عن مقبرة أوفًا ، ورفع يده عن رجال الكنيسة الانجليزية، وعدم تدخله في شئونهم بالعزل والتعيين ، وهددته بالحرمان والعزل. فلم يعر حنا تهديدات البابوية اهتماما، وأقسم على طرد كافة رجال الدين الكاثوليك من انجلترا ، وجدع أنوفهم ومصادرة أملاكهم ، بل وكما يبدو قد هدد البابوية باعتناق الاسلام مثلما فعل الملك أوفًا. وهنا تميّز البابا من النفيذ ، وأصدر قرارا بالفعل بحرمان حنا عام ١٢٠٨م . فكانت ردود فعل حنا عنيفة . اذ أصدر قرارات تتلخص في مصادرة أملاك الكنيسة والأديرة ، وحبس كبار رجال الدين ، بل ويبدو أنه قد ترسم خطى الملك أوفًا فاعتنق الاسلام ثم طلب المعونة العسكرية من الموحدين بالأندلس لتعصيده ضد البابوية وأعوانها ، فطار لب البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦م) وخشى مغبة ذلك العمل ، فأصدر قرارا جديدا بالحرمان ضد حنا عام ١٢١٣م كما قرر عزله ، وطالب الشعب الانجليزى بمحاربته وانتزاع كافة أملاكه ومصادرتها غنيمة له (٧) .

(٧) اشار ديورانت بتفصيل واف الى الصراع فيما بين حنا والبابا انوسنت الثالث ، وأفاض في تفسير أسبابه واتهام البابوية له بلاكفر . انظر : ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران حافظ ، طبعة جامعة الدول العربية ، ج ٤ ، المجلد الرابع ، ص ١٩٣ - ٢٠٢ .

يؤيد ذلك الرأي رواية خطيرة الفحوى أوردتها المؤرخ المعاصر روجر أوف وندوفور صديق الملك حنا المقرب اليه وكاتم أسرارته في حولياته (٨) ، فلقد أشار الى أن الملك حنا قد أرسل سفارة سرية الى أمير المؤمنين الخليفة الموحدي محمد الناصر لدين الله (٢٢ ربيع الأول ٥٩٥ هـ — ٤ شعبان ٦١٠ هـ / ٢٢ يناير ١١٩٩ — ١٩ ديسمبر ١٢١٣ م) في عام ١٢١٢ م / ٦٠٨ — ٦٠٩ هـ ، برئاسة كل من «الفارسين توماس هاردنجتون Thomas Hardington» و«الفيتزنيقولا» Raleigh Fitz Nicholas ، فضلا عن أحد كبار رجال الدين المقربين اليه ، المدعو روبرت أوف لندن Robert of London » ، حيث عرضوا على الخليفة مطالب الملك حنا من خلال الرسالة التي سلموها اياه من لدنه وتتلخص في اعلان رغبة حنا الملحة في « اعتناقه

(٨) بعد وفاة الملك حنا عام ١٢١٦ م ، خلع روجر من منصبه ، بسبب اسرافه الشديد وتبديده اموال الدير كما يقولون ، دون توضيح المقصود بالاسراف أو التبديد ! والسبب كما يبدو الى درجة اليقين ، صداقته الوطيدة بالملك حنا ، ومجاراته وتأنيده اياه في كافة قراراته التي اعتبرتها البابوية والكنيسة خارجة عن الايمان وضد صالح الكنيسة . يؤيد ذلك الرأي أن قرار الاقصاء تم عقب موت الملك حنا مباشرة وتولية هنري الثالث Henry III (١٢١٦ — ١٢٧٢ م) ومن ثم فان عزله نتيجة هذه الصداقة أمر مفروغ منه كما أنه يؤكد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق أوبا الاسلام ومحاولة حنا نهج نفس المنهج ، فكان أن اتهم بالكفر والالحاد والخروج عن الايمان الصحيح . في هذا الصدد وللمزيد عن روجر انظر : حاشية رقم ٢٥ ص ٤٥ ما سبق .

الاسلام هو وشعبه ، والحاك انجلترا بدولة الموحدين « (٩) * ولاتسك
أن تلك الرواية الخطيرة الفحوى لا تؤكد مدى صحة ماوصلنا اليه
بخصوص ترجيح اعتناق الملك أوفًا الاسلام بدليل اخفاء البابوية
مكان دفنه وطمس معالم تاريخه ، ومحاولات حنا كشف مكان الدفن
لاحياء ذكره فحسب ، بل تؤكد أيضا اعجاب الملك حنا الشديد بالملك
أوفًا ، وترسمه خطاه ومحاولته هو أيضا اعتناق الاسلام، وتلك قضية
أخرى لا زالت فى حاجة الى المزيد من الأبحاث والدراسات المتأنية
والمستفيضة .

(٩) عن تلك السفارة ونتائجها انظر :
Roger of Wendover, II, pp. 283 - 286. cf. also :

فيليب حبيب خورى : تاريخ العرب (الدولة العباسية - العرب فى
أوربا : أسبانيا وصقلية ، آخر الدول الاسلامية فى العصور الوسطى) ،
ترجمة وتعليق محمد مبروك نافع ، المجلد الثانى ، ط ٢ ، القاهرة
١٩٤٩م ، حاشية رقم ٥٦ ص ٧١٢ . وجدير بالذكر أن المصادر
قد ذكرت رفض الخليفة الموحدى عرض حنا باعتراف الاسلام ، الا أن
الشواهد تؤكد غير ذلك خاصة وان الخليفة له دوره الكبير فى
الجهاد ضد صليبيى أسبانيا ، ومن ثم ينتفى القول بالرفض .
ولكن السبب كما يبدو كان تأجيل العرض لحين انتهاء الخليفة
من هزيمة اعدائه الاسبان فى المعركة المرتقبة ، الا أن هزيمة الخليفة
الغير متوقعة فى موقعة العقاب Las Navas de Tolosa (١٥ صفر
٦٠٩هـ / ١٧ يوليو ١٢١٢م) ، ثم موته كمدا وحزنا فيما بعد
٦١٠هـ / ١٢١٣م ، قد حالا دون تنفيذ بنود الاتفاق * ذلك الاتفاق
=

مهما يكن من أمر ، وعلى ضوء ما سبق ، لعلنا نكون قد أكدنا ما وصلنا اليه بشأن ترجيح اعتناق الملك أوفًا الاسلام، ومن ثم، قيامه بالمحاولة الأولى من نوعها في تاريخ أوروبا الوسيط باعلان الاسلام ديناً رسمياً له ولشعبه * وقد يقول البعض ان الدينار ليس دجة، تؤكد اعلانه الاسلام ديناً جديداً له ، ولأسرته وكبار رجاله ، ان لم يكن

=

الذى لو حدث لتغيرت خريطة انجلترا * يؤيد ذلك الرأى ما ذكرته المصادر عن غضب البابا ، واصداره قرارى حرمان وعزل ضد الملك حنا عام ١٢١٣ ، ومطالبة النبلاء والشعب بمحاربته وعزله واغتصاب املاكه كما ذكرنا عاليه * ويبدو أن هزيمة الخليفة فى العقاب قد أصابت حنا بالاحباط ، فهادن البابوية خاصة بعد مهاجمة فيليب أغسطس ملك فرنسا له ، وهزيمته عام ١٢١٥م ثم عودته لمواجهة خطر النبلاء الذين ثاروا ضده بتحريض البابوية ، وأجبروه على اصدار الماгнаكارتا عام ١٢١٥ ، وظل حنا يترقب الفرصة للخار من أعدائه والغاء الماгнаكارتا لكن موته المفاجئ عام ١٢١٦م حال دون تحقيق ما انتواه ، وبموته ماتت المحاولة الثانية من نوعها فى انجلترا - بعد محاولة أوف - لاعتناق ملك انجليزى للاسلام * فى هذا الصدد وللمزيد عن علاقات حنا بكل من البابوية والنبلاء الانجليز ، وظروف اصداره العهد الاعظم ونتائجه انظر : Roger of Wendover, II, pp. 179 - 182, 187, 193, 194, 201 - 208 217, 239 - 251, 254 - 70, 273 - 87, 288 ff.; E. H. D., vol. 3, p. 327ff. cf. also:

ديورانت : قصة الحضارة المجلد الرابع ، ص ١٩٣ - ٢٠٢ ، وللمزيد عن محاولة حنا اعتناق الاسلام ، انظر : صفاء خلوصى : محاولة الملك جون صاحب (الماغناكارتا) اعلان الاسلام دينار رسمياً ببريطانيا فى القرن الثالث عشر ، حديث أذيع فى ١٨/١/١٩٧٩م ، انظر : نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة البريطانية العدد رقم ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ، مايو ١٩٧٩م ، صفحة أصحاب الرأى رقم ٣٦ *

له ولأسرته ولشعبه ككل ، على أساس أن هناك سوابق عديدة قلد فيها الأمراء الصليبيون ، وغيرهم من ملوك أوربا الغربية الدنانير الاسلامية . الا أن هذا الرأى سبق وأكدنا عدم صحته ، عند مناقشة الرأى القائل بأن أوفًا قد سك عملته تلك لتقديم المنحة السنوية المقررة عليه تجاه الكنيسة الرومانية (١٠) . وسواء آكان اعتناق أوفًا الاسلام محصلة طبيعية لرغبة ذاتية جامحة ، أو حالة نفسية هيمنت عليه ، ودفعته لاعتناقه بجهود التجار الدعاة المسلمين الذين قدموا للتجارة فى بريطانيا من جهة ، أو كان نتيجة جهود أعضاء السفارات والبعثات الرسمية السياسية والتجارية ، المتبادلة فيما بينه وبين الخلافة العباسية من جهة أخرى ، فمما لاشك فيه أن الدينار الاسلامى الذى ضربه أوفًا ، يعتبر فى حد ذاته دليلا يؤكد ما وصلنا اليه فى هذا الصدد . اذ انه يعتبر وثيقة هامة لها ثقلها فى تأكيد تبريرنا لأسباب اصداره ، على ضوء ما سبق سرده من تفاصيل أحداث عصر الملك أوفًا ، وجهوده وانجازاته المتعددة فى شتى الميادين . ولعلنا نجد فى اختلاف المؤرخين فى تبرير ضرب هذا الدينار ما يؤيد صحة ما وصلنا اليه فى هذا الشأن أيضا ، ويضيف اليه جديدا . اذ أن حيرة المؤرخين ، وتناقض آرائهم يؤكد أنهم رغم عدم قولهم صراحة باعتناق أوفًا الاسلام، يؤمنون فى قراره أنفسهم بإمكانية صحة هذا الاحتمال لدرجة كبيرة .

(١٠) انظر ما سبق ص ١١٤ - ١٢٠ والحواشى من الفصل الثانى .

— ١٥٣ —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بل نقذف بالحق على الباطل ، فيدمغه فاذا هو زاهق ،
ولكم الويل مما تصفون »

(الأنبياء : ١٨)

اخـ سـ اتمـ

— ١٥٥ —

- الجديد فى الموضوع ، وأهم الأفكار والنتائج التى أمكن
التوصل اليها ♦
- أهم الآراء والمشاكل التى تم بحثها ♦

الحمد لله فاتحة كل خير ، وتمام كل فضل ، وبعد •

فقد أوضحنا فى الفصول السابقة أن تاريخ مملكة مرسيا السياسى والاقتصادى ، واحرازها قصب السبق فى مضمار زعامة الأنجلوساكسون ونهضتهم من جهة ، وبناء صرح وحدتهم كأمة واحدة (الأمة الانجليزية) لأول مرة فى التاريخ من جهة أخرى ، قد ارتبطا بقوة بتاريخ عصر أوفّا « ملك مرسيا العظيم » ، و « ملك انجلترا » ، و « ملك كل بلاد الانجليز » حسبما عرفته المصادر والوثائق •

فلقد غدت مملكة مرسيا منذ بداية عام ٧٦٤م ، وحتى وفاة الملك أوفّا عام ٧٩٦م ، قوة عسكرية واقتصادية جبارة ، عمل لها كل من شارلمان والبابوية ألف حساب • ولقد بيّنا كيف سخر أوفّا امكانات مرسيا المادية والبشرية من أجل توحيد الأنجلوساكسون فى أمة واحدة ، وهى التى اصطلح مؤرخو العصور الوسطى على تعريفها بالأمة الانجليزية • لذا ، كان من المحتم حصول احتكاكات وحروب طاحنة بين مرسيا من جانب ، وبين الممالك الأنجلوساكسونية الأخرى من جانب آخر ، وذلك كمحصلة طبيعية لمسار الأحداث • اذ ان كل ملك من الملوك الأنجلوساكسون كانت له أهدافه وتطلعاته لتبوأ مكان الصدارة وزعامة الأنجلوساكسون ، ومن ثم كان لا بد أن تلتحم هذه الأهداف مع مثيلاتها لدى أوفّا أحيانا ، وأحيانا أخرى تتافرت وتباعدت • لذا ، فان فترات العداء والسلام التى سادت علاقات أوفّا بغيره من ملوك الأنجلوساكسون كانت نتيجة حتمية للظروف الموضوعية المحيطة بمسرح الأحداث آنذاك •

وغنى عن القول أنه قد واجهتنا أثناء اعداد هذا البحث العديد من المشاكل والقضايا الهامة التى مست الموضوع مسا مباشرا ، ولقد توصلنا والله الحمد والمنّة الى العديد من الاستجابات الهامة ، استطعنا بها أن نسد الكثير من فجوات البحث بعد تدعيمها بالحجج والأسانيد من جهة ، ومن جهة أخرى ، حصلنا على أجابات واضحة محددة لكثير من التساؤلات التى طرحت علينا على امتداد البحث •

ومن أهم القضايا التى تصدينا لها تطور نهضة مملكة مرسيا سياسيا واقتصاديا بفضل جهود الملك أوفّا ، ومدى ارتباط تقدمها هذا بشخصيته القوية ، ومدى قدرته على تسخير كافة ملكاته وذكائه الفطرى للوصول بمرسيا الى مكان الصدارة والسيادة على كافة ممالك الأنجلوساكسون ، ولقد نجح أوفّا فى هذا الصدد أيما نجاح •

وبالمثل توصلنا الى فكرة هزيمة الملك أوفّا فى موقعة أوتفورد وانتصار كنت عليه عام ٧٧٤م ، رغم قول بعض المؤرخين المعنيين بانتصاره الحاسم فيها ، وأيدنا رأينا هذا بما جاء فى بعض الوثائق والمصادر المعاصرة • كذلك أثبتنا نجاح دبلوماسية أوفّا فى ضم بعض الممالك الأنجلوساكسونية داخل نطاق اتحاد الكونفيدرالى عن طريق تزويج بناته من ملوكها ، ضمانا لعدم انسلافهم عن الاتحاد الذى تزعمه بنفسه •

ومن أهم القضايا التى واجهتنا ، وتناولناها بالمناقشة الموضوعية والدراسة التحليلية أسباب مصرع الملك ايثلبرهت ملك اينست أنجليا عام ٧٩٤م • ولقد أكدنا على ضوء الشواهد التاريخية ، فضلا عن

المعلومات والروايات التي اعتصرناها من المصادر ، أن مصرعه كان مردّه تأمره مع البابوية وويلز لحصر أوفًا بين فكى كماشة ، والانقراض عليه من الشرق والغرب ، للتخلص منه بعد هزيمته . هذا ، ولقد رجحنا سبب هذا التآمر بفكرة اعتناق أوفًا الاسلام ، وهى الفكرة التى دعمناها بما جاء فى المصادر وتردد فى أوساط الكنيسة عن « قيام أوفًا بأعمال أدت الى تقويض الايمان » فكان أن اضطرت البابوية الى ارسال بعثة ٧٨٦م المشهورة برئاسة اثنين من كبار رجالها الى انجلترا « من أجل اعادة تجديد وتثبيت الايمان فى النفوس » ، حسبما أجمعت المصادر على ذلك . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، أكدنا أن البابوية قد أسبغت صفات القدسية على ايثلبرهت واعتبرته « قديسا شهيدا » رغم عدم امتلاكه حيثيات القدسية قياسا لرجال مثل شارلمان « حامى المسيحية فى أوربا الغربية » ، والذي لم تعتبره الكنيسة قديسا على سبيل المثال : كذلك ناقشنا أسباب مصرع ايثلريد زوج ابنة أوفًا وملك نورثمبريا عام ٧٩٦م ، بتخطيط من شارلمان والبابوية ، لرغبتها فى السيطرة على المملكة ، والانطلاق عبرها للتخلص من أوفًا وعقيدته الجديدة ، واعادة تجديد الايمان وتثبيته فى نفوس أهالى مرسيا ، حسبما أكدناه على ضوء المصادر . وبالمثل تعرضنا بالدراسة التحليلية لكافة الآراء التى قيلت فى صدد بناء أوفًا سورة العظيم على حدوده مع ويلز ، وتناولناها بالمناقشة العلمية الموضوعية . ولقد أثبتنا أن هدفه الحقيقى كان تعويق ومنع أعوان البابوية من عبور حدوده مع

ويلز لاثارة النفوس ، وحثها على الثورة ضده تمهيدا لعزله والتخلص منه لاعتناقه الاسلام من جهة ، كما أثبتنا أن بناء السور قد تم على امتداد سنوات فترة السلم التي سادت علاقات أوفًا مع ويلز (٧٨٤ - ٧٩٦م) من جهة أخرى •

كذلك أبرزنا أهم سمات علاقات أوفًا بكل من شارلمان والبابوية وتناولنا بالدراسة التحليلية أسباب كراهيتهما له ، وتخطيطهما معا للتخلص منه ، فى نفس الوقت الذى كانا يتقربان فيه اليه ويظهران له الود والاحترام ! وبالمثل تناولنا بالدراسة علاقات أوفًا التجارية مع الفرنج ، وأشرنا الى الاتفاقية التجارية التي عقدها مع شارلمان ، والتي تعد الأولى من نوعها فى تاريخ انجلترا من جانب ، والتي أكدنا على ضوئها ، فضلا عما أمدتنا به المصادر والمراجع من معلومات قوة علاقات أوفًا التجارية مع العباسيين وعقده معهم معاهدة مشابهة من جانب آخر •

كما تناولنا بالتفصيل والدراسة التحليلية العلمية كافة الآراء التي قيلت حول الأسباب التي حدثت بالملك أوفًا الى سك ديناره الذهبى المشهور ذى عبارات التوحيد الاسلامية ، والذي كان سكّه سببا فى ايقاع المؤرخين المعنيين فى حيرة حتى يومنا هذا ، بحثا عن تبرير مقنع لضربه • وأثبتنا على ضوئه هو وغيره من الأسانيد ، صحة الفكرة التي توصلنا اليها ، والخاصة بترجيح اعتناق أوفًا الاسلام • وجددير بالذكر أن هذه الفكرة كنا دوما نتناولها بالدراسة ونؤكددها بالأسانيد والحجج التي أكدتها الشواهد والروايات

التاريخية على امتداد البحث كلما دعت الضرورة الى ذلك ، لما لها من أهمية ودلالات خطيرة .

وكذلك أشرنا الى جهود أوفيا التي بذلها من أجل رفعة شأن إنجلترا ، والنهوض بها حضاريا ، بالاشارة الى أهم اصلاحاته في شتى مظاهر الحياة المالية والاقتصادية والتشريعية ، فضلا عن اهتماماته باعداد أقوى قوة عسكرية ضاربة عرفت في تلك الاونة ، والتي كان شارلمان أعظم ملوك العصر يعمل لها ألف حساب . وأوضحنا كيف سخر أوفيا هذه القوة من أجل حماية وحدة الأمة الانجليزية التي قضى حياته كلها مجاهدا من أجل بناء صرحها تحت زعامته من جانب ، وكفالة الأمن والأمان لشعبه ، وحماية مكاسبه السياسية والاقتصادية التي حصل عليها على امتداد عصره (٧٥٧ — ٧٩٦م) من جانب آخر .

كذلك تناولنا بالاشارة والدراسة التحليلية التغيرات التي استحدثها أوفيا في العملات الأنجلوساكسونية من حيث المخبر والمظهر ، والتي كان لها أثرها الكبير في تأكيد ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناقه الاسلام ، وأضافت اليه جديدا . تلك التغيرات التي تلخصت — الى جانب اصداره الدينار الذهبي السابق الاشارة اليه — في تلاشى علامة الصليب من عملاته تدريجيا الى درجة الاختفاء تماما في السنوات الأخيرة من حكمه الذي امتد قرابة تسعة وثلاثين سنة .

هذا ، والمسكوكات كما هو معروف ، لها مكانتها كوثيقة يعتد بها فى كشف وسبر أغوار حقيقة تاريخ الأمم السياسى والاجتماعى والاقتصادى وعقيدتها الدينية . وهناك من المؤرخين من يشبه العملة « بالعلم الخاص بالدولة » ، أو بجواز السفر الذى تحمله فى جيبك ، تحسبا لأية ظروف طارئة . فاذا ما توفى أنسان اثناء سيره بالطريق فلاشك أن جواز سفره بما فيه من بيانات وصورة ، سوف يحدد اسم حامله وعنوانه فضلا عن هويته الدينية (١١) . هذا ولقد اختتم صاحب هذا رأى عبارته بالقول باعتناق الملك أوفًا الاسلام ، مشيرا الى أنه قد قام بعمل استفتاء بين عدد من كبار الشخصيات الانجليزية ، التى أجمعت على اعتناق أوفًا الاسلام ، وعزت ضياع وثائق عصره الى الكنيسة التى تخلصت منها خشية كشف تلك الحقيقة الواضحة ، فقال : « ... » وعندما سألت الكثير من الشخصيات الانجليزية ، الذكور والاناث على حد سواء ، أجمعوا على اعتناق أوفًا للاسلام ، وعزوا ندرة الوثائق الى تدمير الكنيسة الانجليزية لها ، بسبب اعتناقه الاسلام ، وأدا لها وطمسا لمعالم تاريخه منذ البداية » (١٢) .

وبالمثل توصلنا الى اثبات قوة التواجد التجارى العربى فى إنجلترا قبل وعلى امتداد عصر الملك أوفًا ، وخرجنا بفكرة أن الدعوة

Moinddin, op. cit., p. 1 f.

(١١)

Moinddin, op. cit., pp. 1 - 2.

(١٢)

للإسلام قد وصلت اليه عن طريق أى من التجار المسلمين أو مبعوثى الخلافة العباسية، ولقد تم ذلك بعد مناقشات حول معانى عبارات التوحيد الإسلامية المنقوشة على الدينار العباسى ، والذي ضرب أوفًا ديناراه على طرازه من جانب ، وبعد حوار طويل حول طبيعة المسيح عليه السلام ومكانته وأمه العذراء البتول الصديقة مريم رضى الله عنها فى الإسلام من جانب آخر ، وبعد ذلك دعى أوفًا للإسلام ، فأمن بعد اقناع واقتناع . وأكدنا ذلك الرأى من منطلق عالمية الإسلام ، وأن الدعوة الى الحق فرض على كل مسلم القيام به ما استطاع الى ذلك سبيلا . و ضربنا أمثلة لذلك بما جاء فى الكتاب والسنة الشريفة من آيات وأحاديث تؤكد صحة الرأى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ضربنا أمثلة بدور التجار المسلمين الدعاة فى نفس الوقت فى نشر الإسلام فى جزر وبلاد المحيط الهندى وجنوب شرق آسيا ، ووسط وشرق وغرب أفريقيا .

وأخيرا ، وليس بآخر ، تناولنا بالدراسة التحليلية العلمية والمناقشة الموضوعية أسباب اهمال المصادر والمراجع الاشارة من قريب أو بعيد الى أسباب موت الملك أوفًا المفاجئ عام ٧٩٦م/ ١٨٠هـ ، ودفنه فى بلدة مجهولة الهوية بعكس ما هو متبع من عادة دفن أقرانه الملوك فى كنيسة العاصمة الكبرى ! .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشرنا الى محاولات الملك حنا صاحب المايناكارتا المستميتة للبحث عن قبرة الملك أوفًا لاهياء

ذكره وفشله فى هذا الصدد • وخلصنا من هذا كله برأى هام أكدنا صحته على ضوء المصادر المعاصرة ، مؤداه اعجاب الملك حنا الشديد بأوفًا ، وترسمه خطاه بالقيام بالمحاولة الثانية من نوعها فى تاريخ أوروبا — بعد محاولة أوفًا بالطبع — لاعتناق ملك انجليزى للاسلام وارساله سفارته المشهورة للملك الناصر محمد الموحدى ، معلنا رغبته فى اعتناق الاسلام ، ودخوله وشعبه وبلاد الانجليز فى زمرة الموحدين وحمائهم • مما أغضب البابوية بشدة ، فكان ان أصدرت قراراتها بالحرمان ضد حنا ، واعتبرته خارجا عن الايمان وكافرا ، وطالبت الشعب الانجليزى والنبلاء بمحاربته والتخلص منه ، ومصادرة أملاكه •

تلك هى أهم الآراء التى ناقشناها ، وأهم النتائج والأفكار والاستنتاجات التى توصلنا اليها وهكذا ، وعلى ضوء ما سبق ، تأكد لنا صحة ما وصلنا اليه بصدد ترجيح اعتناق الملك أوفًا للاسلام واتخاذ دينه له على الأقل ، ان لم يكن له ولأسرته ولشعبه ككل ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، تأكد لنا بما لا يدع مجالا لبادرة شك أن أوفًا قد بلغ بشجاعته وثاقب نظره ، وكياسته حدا من المكانة والعظمة الى درجة جبت شارلمان أعظم ملوك ذلك العصر ، وحقق سياسته ودبلوماسيته وحدة الامة الانجليزية لأول مرة فى تاريخها •

هذا ولقد لخص المؤرخ الانجليزى المشهور سيرفرانك ستنتون

قدرات أوفًا ، وأبرز مكانته فى التاريخ فى عبارة جامعة مانعة ،
 اذ قال : « ان أى ملك أنجلوساكسونى آخر لم يكن فى
 مقدوره أن ينظر الى العالم على مدى اتساعه ، بمثل نظرة الملك أوفًا
 البعيدة المدى تلك ، أو بمثل هذا الوعى والحس السياسى المرهف
 الذى تفرد به دون غيره » (١٣) من أقرانه الملوك . فاليه يعزى
 فضل وضع مقومات نظم وحضارة انجلترا ونهضتها التجارية فى
 العصور الوسطى ، تلك النظم التى تفاعلت مع مثيلاتها الخاصة
 بالغزة الدانيين الشماليين ، والنورمانديين فيما بعد عصره ، ومنذ
 ذلك الحين فصاعدا بدأت انطلاقة انجلترا من عزلتها القديمة ،
 وخرجت سفنها التجارية تشق عباب المحيط شرقا وغربا ، حاملة معها
 تلك المقومات الحضارية فى صورة دساتير ونظم وعلوم وثقافة الى
 القارة الأوروبية على اتساعها (١٤) وباختصار أصبحت انجلترا بفضل
 جهود أوفًا مدرسة أوربا فى بداية العصور الوسطى ، تلقتها شتى المعارف
 والعلوم ، بعد أن كانت تلميذا متأخرا دراسيا ، يحاول بالكاد أن
 يتعلم ألف باء الحضارة الأوروبية من قبل عصر هذا الملك العظيم .

Stenton, op. cit., p. 224.

(١٣)

(١٤) أشارت المراجع الى أن الانجلوساكسون رغم دمويتهم ، فاليهم
 تعزى نهضة أوربا فى شتى نواحي العلوم والاداب . فى هذا الصدد ،
 وللمزيد عن حضارة الانجلوساكسون وتأثيرهم فى الحضارة الأوروبية ،

=

وأخيرا ، أنهى بحثى هذا راجيا أن أكون قد وفقت فى كشف حقيقة تاريخ عصر أوفثا ملك انجلترا العظيم وصولا الى الحقيقة التاريخية العلمية الموضوعية المجردة •

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، وأغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فأنصرنا على القوم الكافرين » •

(البقرة : آية ٢٨٦)

والحرار منهم أقصبت السبق على أوربا فى هذا المضمار • انظر
Chancellor, V. E., Medieval & Tudor Britain, London,
1976, pp. 28 - 42.

نظير حسن سعداوى : السابق ، ص د ٢٩ وما بعدها •
راوس : السابق ، ص ١ وما بعدها •

قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمختصرات الواردة في الحواشى •
- مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ انجلترا •
- المصادر الأصلية الأوروبية •
- المصادر العربية •
- المراجع الثانوية الأوروبية •
- المراجع الثانوية العربية والمعرية •
- دوائر المعارف والمعاجم •

بينان بالمختصرات الوازدة بالحواشي

A. A. E. = Academic American Encyclopedia.

B. N. J. = British Numismatic Journal.

C. E. = The Catholic Encyclopedia.

C. E. D. = Councils & Ecclesiastical Documents.

Cart. Sax. = Cartularium Saxonum.

Ch. E. = Chamber's Encyclopedia.

D. S. = The Penguin Dictionary of Saints.

D. U. = Dictionnaire Universale d'Histoire et de
Géographique.

E. B. = Encyclopedia Britannica.

E. H. D. = English Historical Documents.

E. H. R. = English Historical Review.

Laud Chronicle (The) = The Anglo - Saxon Chronicle «Ms. E»,
ed. G. N. Garmonsway.

N. A. E. = New Age Encyclopedia.

N. C. = Numismatic Chronicle.

N. E. B. = The New Encyclopedia Britannica.

O. C. E. L. = Oxford Companion to English Literature.

O. I. D. = Oxford Illustration Dictionary.

Parker Chronicle (The) = The Anglo - Saxon Chronicle «Ms. A»,
ed. G. N. Garmonsway.

P. E. P. = The Penguin Encyclopedia of Places.

R. S. = «Rolls Series», Chronicles of Memorials Documents
of Great Britain and Ireland.

Sh. Camb. Med. Hist. = The shorter Cambridge Medieval History

(أولا)

مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ إنجلترا

Anglo - Saxon Chronicle, (The),

— ed. G. N. Garmonsway, London, 1972.

— ed. D. Whitelock, cf. E. H. D. Vol. I, London, 1979.
pp. 145 - 216.

— The Cottonian Collections of Manuscripts, British
Museum (Mss. B, C, D, F, H & I).

Cartularum Saxonum, ed. G. W. de Birch, 3 vols. & index, London,
1885 — 1893.

Codex Diplomaticus, Aevi Saxonici, ed. J. M. Kemble, 6 vols.,
London, 1839. — 1848.

Councils & Ecclesiastical Documents, relating to Great Britain &
Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., Oxford, 1871.

English Historical Documents, Under the editorship of David C.
Douglas, 12 vols., 1955 ff.

(ثانياً)

المصادر الأصلية الأوربية

Anglo-Saxon Chronicle, (The) trans. and ed. by G. N. Garmonsway,
London, 1972.

كذلك اعتمدنا على ترجمة دورثي وايتلوك تحت عنوان :

Anglo-Saxon Chronicle (The) (60 B. C. A. D. 1042), cf. E. H. D.,
vol. I, London, 1979, pp. 145 — 261.

Alfred (The Great), «The Laws of Alfred», cf. E. H. D., vol. I,
London, 1979, pp. 407 - 16.

Asser's «Life of King Alfred», ed. W. H. Stevenson, Oxford, 1904.
cf. also E. H. D., vol. I, ed. D. Whitelock, London,
1979, pp. 289 — 303.

Bede,

Historia Ecclesiastica (Venerabilis Baedae Opera Historica), ed. C. Plummer, 2 vols., Oxford, 1896.

ولقد اعتمدنا على ترجمة انجليزية تحت عنوان :

A History of the English Church and People, trans.
with an introduction by Leo Shereby Price, Revised
by R. E. Lathen, London, 1974.

واعتمدنا أيضاً على ترجمة دورثي وايتلوك تحت عنوان :

«Ecclesiastical History of the English Nation», cf. E.
H. D., vol. I, London, 1979, pp. 639 - 1747.

Cartularium Saxonum, ed. G. W. de Birch, 3 vols., London,
1885 — 93.

Councils and Ecclesiastical Documents, relating to Great Britain and Ireland, ed. Hadden W. & Stubbs W., vol. III, Oxford, 1871.

Einhard & Notker the Stammerer,

«Two Lives of Charlemagne», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1974.

English Historical Documents,

— Vol. I (C. 500 - 1042), ed. Dorothy Whitelock, 2nd. ed., London, 1979.

— Vol. III (1189 - 1327), ed. Harry Rothwell, 1 st. ed., London, 1975.

Geoffroy of Monmouth,

«The History of the Kings of Britain», trans. with an introduction by Lewis Thrope, London, 1978.

Gesta Sanctorum Patrum Fontenllensis, Societe de L'Histoire de Normandie, Rouen & Paris, 1936.

: اعتمدنا على ترجمة دورثي وايتلوك تحت عنوان

From the «Acts of the Abbots of Fontenelle» (St. Wandrille), cf. E. H. D., vol. I. p. 341.

Letter of Alcuin to Colcu (early in 790), cf. E. H. D., vol. I, 192, pp. 840 — 42.

Letter of Alcim to Offa King of Mercia (787 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 195, pp. 846 - 47.

Letter of Alcuin ot the Mercian Ealdorman Osbert (797), cf. E. H. D., vol. I, 202, pp. 854 - 56.

Letter of Charles the Great to Offa, King of Meria (796), cf. E. H. D., vol. I, 197, pp. 848 — 49.

Letter of Charles the Great to Aethelheard archbishop of Canterbury and Ceolwulf. bishop of Lindsey, (793 - 796), cf. E. H. D., vol. I, 196, p. 847.

Matthew of Westminster,

The Flowers of History, trans. from the original by C. A. Yonge, 2 vols., London, 1938.

Roger de Hoveden,

The Annals, Camprising the history of England & Other countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201, trans. from the Latin with notes & illustrations by Henry Riley, 2 vols., London, 1853.

Roger of Wendover,

Flowers of History, trans. from the Latin by Giles J. A., 2 vols, London, 1949.

Symeonis Monachi Historia Regum, ed. T. Arnold « Symenis Monachi Opera Omnia », cf. R. S., Vol. II, London, 1958.

ولقد اعتمدنا على ما نشرته دورثي وايتلوك تحت عنوان :

Extracts from Historia Regum « History of the Kings » attributed to Simeon of Durham, cf. E. H. D., vol. I, pp. 263 - 280.

(ثالثاً)

المصادر العربية الأصلية

- القرآن الكريم .
- صحيح مسلم ، ج ٢ ، طبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- صحيح البخاري ، ج ٥ ، طبعة الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- المقدري (ت ١٢٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى : « الترغيب والترهيب » اصدار مكتبة الدعوة الإسلامية (شيباب الأزهر) ، ج ٢ ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .
- محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ — ١٧٩٢ م : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، نسخة تحتوى على تعليقات مفيدة تحت عنوان (قرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين) ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- النويري الكندي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب ، نسخة صادرة عن طبعة دار الكتب ، اصدار وزارة الثقافة والارشاد ، الجزء الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

(رابعا)

المراجع الثانوية الأوربية

Allan, J.,

Numismatic Chronicle, London, 1914.

Atiya, A. S.,

Crusade, Commerce & Cultrure, Boolimington, 1962.

Balog, P. et Yvon, J.,

Monnaies a Légendes Arabes de L'Orient Latin, cf.

La Revue Numismatique, 6 eme Série, t. 1, 1958.

Beltran, p.,

cf. Centennial Publication of the American Numiamatic Society, 1958.

Blunt, C. E.,

The Coinage of Offa, cf. « Anglo - Saxon Coins », ed. R. H. M. Dolly, Studies presented to F. M. Stenton on his 80th birthday, London, 1961.

Brondsted, J.,

The Viking, London, 1975.

Brooke, G. C.,

English Coins from the 7th. Century to the present day, London, 1932.

Cambridge Medieval History (The Shorter), ed. C. W. previte —

Orton, 2 vols., 11th. ed., Cambridge, 1979 - 82.

Cantor, N.,

The Medieval World (300 — 1300), N. Y., 1968.

Chancellor, V. E.,

Medieval & Tudor Britain, London, 1976.

Fisher, H. A. L.,

A History of Europe, 2 vols, London, 1937.

Hart, C.,

The Kingdom of Mercia, cf. Mercian Studies, ed.
Dornier, Leicester, 1977, pp. 43 — 61.

Hobs, B.,

Coins & Coin Collecting, London, 1955.

James, M. R.,

Two Lives of St. Ethelbert, King & Martyr, cf. E.
H. R., vol. 32, 1917.

Kent, J.,

2000 Years of British Coins & Medals, British
Museum Publications, London, 1978.

Lavoux, H.,

Monnaies a Légendes Arabes frappées en Syrie par
les Croises, Paris, 1877.

Moondin, M.,

Did King Offa accept the Faith of Islam, Ta Ha
Publishers, LTD., London, (N. D.).

Prawer, J.,

The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972.

Richmond, I. A.,

Roman Britain, London, 1971.

Schulmberger, G.,

Numismatique de L'Orient Latin, Paris, 1978.

Stenton, Sir F.,

Anglo - Saxon England, 3 rd. ed. (Reprinted),
London, 1984.

Wilson, D.,

The Anglo - Saxon, London, 1972.

Wormald, P.,

The Anglo - Saxons, ed. J. Campbell, Phidon Press,
1980, cf. (The Age of Offa & Alcuin), Chapter 59,
pp. 101 - 122.

(خامسا)

المراجع الثانوية العربية والمصرية

— السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

• تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٧٥

— بلوك (مارك) :

« مشكلة الذهب في العصر الوسيط » المقالة الأولى
من كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة
الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية
للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١ •

— ١٧٨ —

— ديفز (هـ و) :

أوروباً فى العصور الوسطى ، ترجمة د. عبد الحميد
حمدى ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ •

— ديورانت (ول) :

قصة الحضارة ، ترجمة الاستاذ محمد بدران حافظ،
طبعة جامعة الدول العربية ، ج٤ ، المجلد الرابع •

— راوس (ل) :

التاريخ الانجليزى ، نقله الى العربية د. محمد
مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٤٦ •

— صفاء خلوصى (الدكتور) :

« محاولة الملك جون صاحب (الماغنكارتا) اعلان
الاسلام ديناً رسمياً ببريطانيا فى القرن الثالث
عشر » ، حديث أذيع من اذاعة لندن يوم ١٨ يناير
١٩٧٩م ، انظر نشرة البرامج العربية لهيئة الاذاعة
البريطانية ، العدد ٣٦٧ ، السنة العشرون ، القاهرة ،
مايو ١٩٧٩ •

— عبد الرحمن فهمى محمد (الدكتور) :

موسوعة النقود العربية وعلم النميات (فجر
السكة العربية) ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ •

- فيليب حبيب خورى :
تاريخ العرب ، المجلد الثانى (الدولة العباسية —
العرب فى أوربا : أسبانيا وصقلية ، آخر الدول
الاسلامية فى العصور الوسطى) ، ترجمة الاستاذ
محمد مبروك نافع ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- لومبار (موريس) :
« الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية » ، المقالة
الثانية من كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة
الاستاذ توفيق اسكندر ، اصدار الجمعية المصرية
للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :
الممالك الجرمانية فى أوربا العصور الوسطى ،
الاسكندرية ، ١٩٧٥ .
- مصطفى حسن الكنانى (الدكتور) :
— العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى
(١٠٩٥ — ١١٧١ م / ٤٨٨ — ٥٦٧ هـ) ، الاسكندرية ،
١٩٨١ .
- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى
(١١٧١ — ١٢٩١ م / ٥٦٧ — ٦٩٠ هـ) ، الاسكندرية ،
١٩٨١ .
- نظير حسان سعداوى (الدكتور) :
تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة
ولوسطى ، القاهرة ١٩٥٨

— ١٨٠ —

(سادسا)

دوائر المعارف والمعاجم

- Academic American Encyclopedia, Princeton, New Jersey, 22 vols., 1980.
- Catholic (The) Encyclondia, an International work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline and History of the Catholic Church, 15 vols. and index, Special edition under the uspsices of the Caleman Association, London, (N. D.).
- Chamber's Encyclopedia, New Revised edition, vol. X, London (N. D.).
- Dictionnaire Universale d'Histoire et de Geographique, Paris, 1884,
- Encyclopedia (The New) Britannica, 36 vols, London, 1943 - 74.
- New Age Encyclopedia, 20 vols., London, 1980.
- Oxford Companion (The) to English Literature, Compiled & edited by Sir Paul Harven, 2 nd. ed., Oxford, 1938.
- Oxford Illustration Dictionary, vol. II, Oxford, (N. D.).
- Penguin Dictionary (The) of Saints, ed, D. Attwater, London, 1975.
- Penguin Encyclopedia (The) of Places, ed. W. G. Moore, London, 1971.

تم والله الحمد والمنّة

الوحـات والملـحـق والخـريـطة

— ١٨٣ —

لوحة رقم (١)

الظهر



الوجه



دينار الملك أوفًا الذهبي
(بتصريح من المتحف البريطاني بلندن)

لوحة رقم (٢)

الظهر



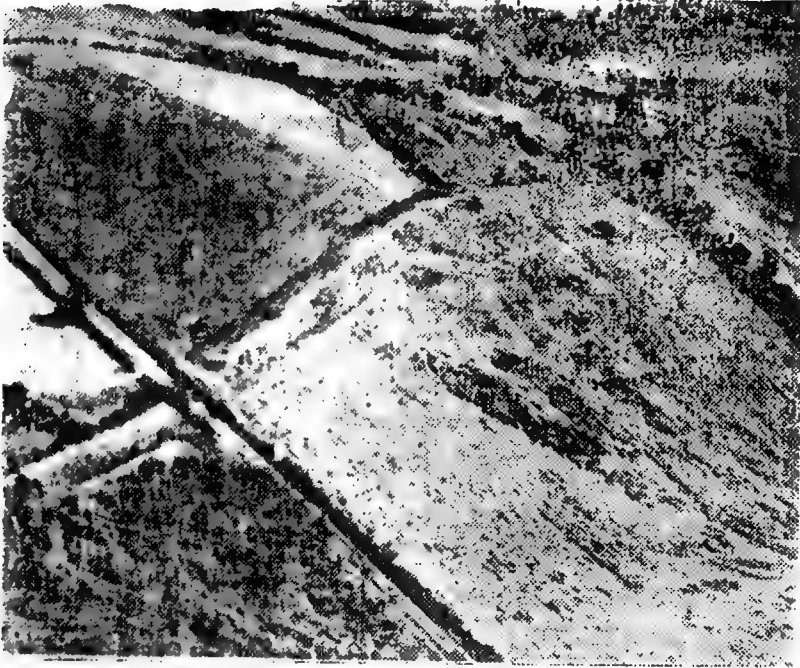
الوجه



الدينار العباسي الذهبي ، الذي ضرب أوفًا ديناره على طرازه
(بتصريح من متحف الفن الاسلامي بالقاهرة)

— ١٨٧ —

لوحة رقم (٣)



سور أوفنا العظيم

(صورة من الجو على بعد ثلاثة أميال من مينستون
Mainstone
في مقاطعة شروب Shropshire)

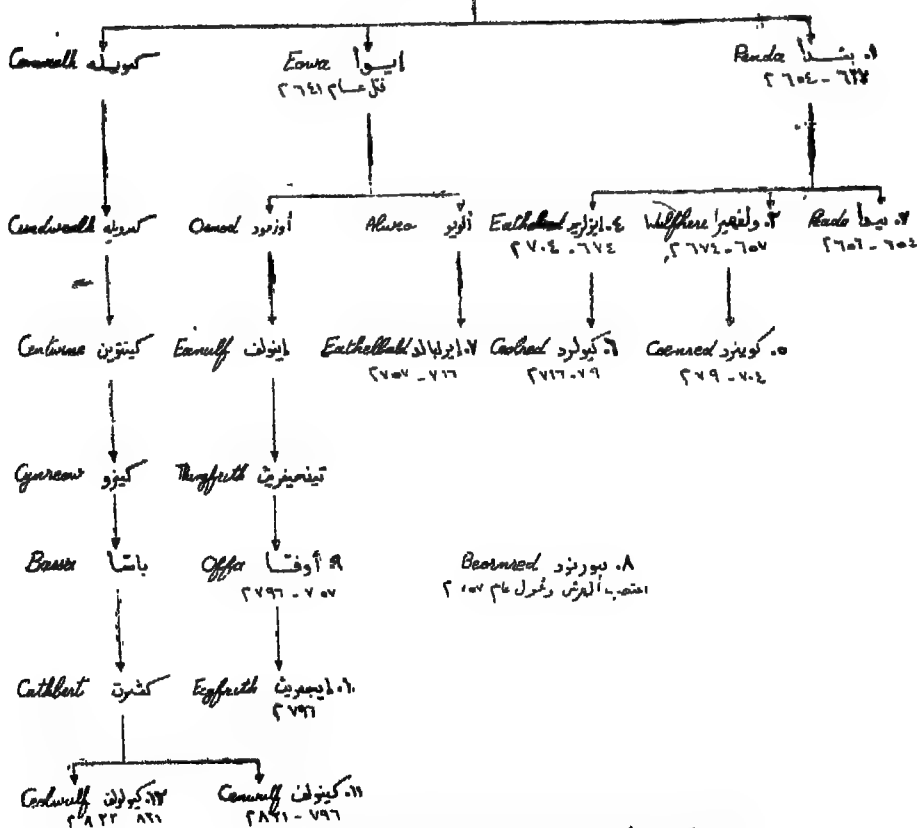
نقلا عن Wormald, op. cit., p. 121

رسم تخطيطي يوضح تسلسل نسب ملوك مرسا^١

کریوڈا *Cecoda*

८३९

پیٹ پیل



cf. Hart, The Kingdom of Mercia, p. 55 11)



— ١٩٢ —

وقعت أخطاء مطبعية ، اعتذر للقارئ الكريم عنها ،

وأصوب مادّتي منها ، وأدع غيرها لفطنته .

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠	٥	نشر	نشر
١٥	٣	أسلفنا	أسلفنا
١٧	٢٠	رأسه	رأسه
٢٠	١٩	المالك	المالك
١١٥	٩	سلك	سلك
١٢٢	١	قراره	قراره
١٣٩	١٣	ياقمه	ياقامة

محتويات الكتاب

المحتوى	رقم الصفحة
الفتاحة	٥ - ٢١
دراسة نقدية تحليلية لاهم مصادر البحث ومنابعه	٢٢ - ٥٤

الفصل الأول

أوفًا وتوحيد ممالك الأنجلوساكسون

(٧٥٧ - ٧٩٦ م)

احوال بريطانيا قبيل عصر أوفًا ، وظروف توليته
عرش مرسيا عام ٧٥٧م - حروب أوفًا وجهوده
الدبلوماسية لتوحيد ممالك الأنجلوساكسون ،
ونتائجها - بعثة البابا أدريان الأول الى انجلترا عام
٧٨٦م ، أسبابها ونتائجها - مصرع ايثلبرهت ملك
ايسيت انجلترا ، ونجحه على يد أوفًا عام ٧٩٤م ،
دلالاته ونتائجها - رحد فعل البابوية وشارلمان المضادة
لسياسة أوفًا ، أسبابها ونتائجها .

الفصل الثاني

أوفًا ودوره الحضارى

(٧٥٧ - ٧٩٦ م)

أوفًا باعت النهضة الانجليزية - دور أوفًا فى
النهوض بالتعليم والثقافة والجيش ، واصلاح النظم
التشريعية والمالية والاقتصادية - الاهتمام بالتجارة
الخارجية وتنشيطها بعقد الاتفاقيات التجارية مع

المحتوى رقم الصفحة

الفرنج والخلافة العباسية - التغييرات التي استحدثتها
أوفاً في العملات الأنجلوساكسونية ودلالاتها الهامة
دينار أوفا الذهبي ذو عبارات التوحيد الإسلامية
والآراء المختلفة حول أسباب ضربه .

الفصل الثالث

سور أوفاً العظيم ودلالاته

١٣١ - ١٥٢

(٧٨٤ - ٧٩٦ م)

تخطيط وطبوغرافية السور - حروب أوفا ضد
البريطانيين في ويلز ونتائجها - مختلف الآراء حول
أسباب البناء ، ودلالاتها ، إهمال المصادر والمراجع
الإشارة إلى ظروف موت الملك أوفا المفاجيء ، ومكان
دفنه ، ودلالاته - محاولة الملك حنا (جون) اعتناق
الإسلام ، ترسماً لخطي الملك أوفا من قبله ، ودلالاتها
ون نتائجها .

الخاتمة

١٥٣ - ١٦٦

الجديد في الموضوع ، وأهم الأفكار والنتائج التي
أمكن التوصل إليها - أهم الآراء والمشاكل التي تم
بحثها .

قائمة المصادر والمراجع

١٦٧ - ١٨٠

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في الحواشي -
مجموعات تتضمن المصادر الأصلية لتاريخ إنجلترا -
المصادر الأصلية الأوروبية - المراجع الثانوية
الأوروبية - المراجع الثانوية العربية والمعرية -
دوائر المعارف والمعاجم .

رقم الصفحة

المحتوى

اللوحات والملحق والخريطة

- ١٨١ لوحة رقم (١)
دينار الملك أؤفا الذهبى (بتصريح من المتحف
البريطانى بلندن) *
- ١٨٣ : لوحة رقم (٢)
الدينار العباسى الذهبى ، الذى ضرب أؤفا ديناره
على طرازه (بتصريح من متحف الفن الاسلامى
بالقاهرة) *
- ١٨٥ : لوحة رقم (٣)
سور أؤفا العظيم *
- ١٨٧ : ملحق رقم (١)
رسم تخطيطى يوضح تسلسل نسب ملوك مرسيا *
- ١٨٩ : خريطة
انجلترا فى عصر الملك أؤفا (الممالك السبع
الهيبتاركى) *

رقم الايداع : ٤٠٩٠ / ٨٦

مطبعة الإشعاع الفنية
لصاحبها: **القائم بوضع الزخارف (الزخاوي)**
المنفورة البلد - بخرى - شارع مسجد الأوقاف



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

